#قصص_قصيرة

سامح مبروك

ترندات وتوباكو

الكتاب الأول

الكتاب الأول

- ترندات وتوباكو - الكتاب الأول
- الكاتب: سامح مبروك
- تدقيق لغوي: مرمر سعد
- غلاف وإخراج فني: سامح مبروك
- الطبعة الأولى: ٢٠٢٢م
- رقم الإيداع: ٢٠٢٢/١٣٦٠١
- الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٤-٢٢٦٥-٧

جميع الحقوق محفوظة للكاتب.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من صاحب حقوق الملكية.

ترندات وتوباكو هي قصص قصيرة خيالية بالكامل مستوحاة من ترندات فضاء المنصات الاجتماعية ولا تمثل أي شخصيات أو أماكن أو أحداث حقيقية.

samehmabroukwriter
www.samehmabrouk.com
sameh mabrouk

الفهرس

ترندات وتوباكو	٣
شيماءُ واللَّيالي السَّوداء	٧
اثْبَتْ صَنَم	١٢
مِهْرَجَان الجُوزَة	٢٣
الثَّانويَّة اللَّعنة	٣٣
لحمٌ عَلَى الرَّصِيف	٣٨
هُرْمُونَات قَاتِلَة	٤٣
صاحبُ الشَّرم الحقيقيّ	٥٠
عَلَى صَعيدِ عَرَفَة	٥٧
أكادُ مِنْ فَرْطِ الجَمَالِ.. أَذُوبُ	٦٣
مِن التِّرِنْد مَا قَتَل	٧٢
بِيتزا ببرُونِي	٧٩
طَالِبان	٨٦
لَا كاسا دي وائل	٩٣
السَّيد منج؛ مُدْمِنُ نجَاح	١٠٢
خُدْعَةُ العُمَلَاء	١٠٦
كرِيسمَاس فِي حتا*	١١١
البَاشَا ابن سِيَادتُه	١١٩
زُوْجُ زُوزُو	١٢٧
كُوبْرِي السَّحَالِي	١٣٤
وِلَاد أبُو جَاموس	١٤٢
رَيان وسَعْد	١٥٠
فَتَاوِي القَهَاوِي	١٥٧
راشد ـ بُوتين - الكاهنُ الفاجرُ	١٦٣
بَيْض بَسْطِرْمَة	١٦٩
أبُو الهَوْل - ١ المَسِيخُ الدَّجَال - ٠	١٧٩

ترندات وتوباكو

تَدْخُلُ إحدى المقاهي الفخمة الّتي تعجُّ بالزائرين، تتطلع إلى قضاء وقتٍ لطيف مع الأحبة والأصدقاء تستقصي فيه أخبارهم وتتشاركون جميعًا النكات والأحداث كلٌ من وجهة نظره، ولمَّا تفتح باب هذا المقهى تستقبلك سحابة رمادية ثقيلة، حُبلى بالعديد من الروائح، منها الحادُّ النَّفاذ الصريح ومنها الخادع الّذي يتنكَّر في رائحة الفاكهة، وعلى الرغم من كون تلك السحابة رمادية ثقيلة يَغشى برقها الأبصار ويصمُّ رعدها الآذان، إلَّا أنَّ كَبَلَها هذا لا يُبشر أبدًا ولو بشآبيب المطر، وتظل على حالتها هذه، لا ينالك منها سوى الاختناق الّذي يصيبك طوال زيارتك للمقهى، وتلك الروائح العطنة الّتي تنال ملابسك وبشرتك بعد مغادرتك لها؛ إنَّها روائح التوباكو.

حقيقةٌ قد لا يختلف الأمر لو قررت خوض غمار ذات المغامرة في صورتها الافتراضية، من خلال منصات التواصل الاجتماعيّ، فقد أصبحت هي الأخرى تضجُّ

بالروائح والسُّحب الثِّقال، الَّتي ينفُثها روادها ليل نهار ومن دون توقف، فعلى مدار الساعة لا يخلو فضاء تلك المنصات من أصداء «الترندات» الَّتي ينفُثها أحد المستخدمين وسرعان ما يحملها فضاء تلك المنصات ليتداولها الآخرون بكثافة.

تتنوَّع بالطبع الترندات في أشكالها وألوانها وروائحها، لدرجةٍ قد تصيب مستخدمي تلك المنصات بالاختناق، تمامًا كرائحة التوباكو في المقهى، وحتَّى عند انتهائك من جولتك الإجبارية عبر تلك المنصات تعلَق في ذهنك تلك الروائح الكريهة تمامًا كرائحة التوباكو، ولكن ما من سبيلٍ للتخلص منها.

«ترندات وتوباكو» هي استحضارٌ أدبيّ لِما يدور في فضاء منصات التواصل الاجتماعيّ من أخبار ومناقشات وحتَّى نكات، نناقش فيها بشكل أدبيّ تلك الأمور الَّتي يسميها مستخدمي تلك المنصات «ترند»، فنتناولها في شكل قصص قصيرة لا تحمل انتماءً ولا تميل إلى جهة على حساب الأخرى إنَّما تنقد الظواهر الشاذة وتدعم الظواهر الإيجابية وتلقي بعض

الضوء على أمور أخرى قد تكون إنسانية أو تراجيدية أو حتّى كوميدية لطيفة.

شيـــهاء
والليالي السوداء
ترندات وتوباكو

شيماءُ واللَّيالي السَّوداء

في إحدى اللَّيالي الصيفية، جلس شهريار في حُلَّته البهية، وكان النهار قد نال منه ما نال، في متابعة أحوال المملكة وتسيير الأعمال، وبينما كان يتقلَّب على جمر السهاد، دخلت عليه زوجته شهرزاد، فلمَّا رأت مولاها شارد الذهن مشغول البال، خاطبته في الحال:
حُرمت شهرزاد دَعة العيش والراحة، إن لم تُعِد لمولاها بسمته الوضاحة.

فأجابها شهريار وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامةٍ واسعة: وكيف لها أن تتمنَّع وقد أقبلت نجمة سمائي اللامعة؟

فقالت شهرزاد بدلال: مولاي؛ يكفيك ما أنجزته خلال يومك من أشغال، فقد حان الوقت أن ترافق جاريتك في رحلة مجانية لأراضي الخيال.

فأجابها شهريار بشوقٍ وحماس: أنا ملكك يا عمري من الراس للساس.

فجلست شهرزاد بين يدي ملكها، وراحت تسقيه من حلو حديثها: بلغني أيُّها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد والعمر المديد، أنَّه في بلادٍ غير بعيدة وأزمان ليست بالسعيدة، خرج شابٌ من السوقة والدهماء، يبكي حاله ويناجي السماء، يملأ الدنيا بالصراخ والعويل، كمن انقطع به الدرب وضل عنه السبيل، يشكو ضياع حبيبته الحسناء، فانطلق يُلقي خطبةً عصماء: يا قوم، ضاعت شيماء.

وانطلق يشدو باسمها في كل شارعٍ وحارة، دون أن يجد على مكانها أمارة، فالتفَّ الناس من حوله مجتمعون، من يشاهد ومن يضحك ومن يحسبه مجنون، فنادى أحدهم من وسط الجموع، وتكلم بصوت مسموع، يا بنيّ؛ أعطنا في حبيبتك أمارة، لعل فينا من رآها فيأتيك بالبشارة.

فلبَّى الفتى النداء، وقال إنَّ حبيبتي شيماء، بضَّة رقيقة بيضاء، يغازل رأسها في شموخ عنان السماء، صوتها رخيم، قلبها رحيم، يقطر وجهها بالحياء، وتحب أن تسبح في الماء.

ثُم عاد الفتى في البكاء والنحيب، والناس من حوله منقسمون على حاله العجيب، فانصرف منهم لأحواله القليل، يستنكرون على الناس انشغالهم بهذا العويل، واستمر في التفافهم حوله الكثير من البشر، بل راحوا يرددون كلامه كببغاء أنثِر، ولمَّا رأى انشغال الناس به واحد من أصحاب المراقص، قال ولِما لا أستفيد من شهرته وأنا لمثله ناقص، فأقدم عليه واصطحبه إلى حانته، لعل الناس تتبعه لتقصِّي المزيد عن حالته، فتعجُّ الحانة بالمشاهدين والزوار، ويكسب المال وتحظى حانته بالازدهار.

وبينما كان الناس يتابعونه بشغف، ومنهم من رسم لشيماء من الصور ما تخطَّى عدده الألف، صرَّح الفتى في أهم لقطة، أن شيماء مجرد بطَّة، ارتجف صاحب المرقص لمَّا سمع الخبر، خوفًا من رد الفعل العنيف للحضور من البشر، ولكنه وجدهم يضحكون، وباسم شيماء يتغنون، فأطلق مساعديه يجمعون من الناس الدنانير، وصار الفتى المجنون من المشاهير.

وهنا بدأ الدِّيك في الصياح، معلنًا أنَّ الفجر قد لاح، فسكتت شهرزاد عن الكلام المباح.

فنادى شهريار، يا مسرور، احضر سيفك ومعه ساطور، اليوم سنعيد لهذا البيت البهجة والسرور، عليك بتلك الشهرزاد الشمطاء، جُزَّ رقبتها عِبرة لكافة النساء، وأتني بهذا الديك والبطة الشيماء، فاذبحهما واجعل الطاهي يكثر من الحساء.

اثبت صنم
مستوحاة من لعبة الحبار
ترندات
وتوباكو

اثْبَتْ صَنَم

الفُسْحة

دق الجرس العتيق في الممر الداخليّ لمدرسة الشهداء معلنًا انتهاء الحصة التعليمية الثالثة وبداية الفسحة المجيدة، ذلك الجرس الَّذي تُلاعب دقاته في هذا التوقيت معدة وعقل وقلب «دعادل»، فقد كان عادل قد وصل مرحلة من الضجر والجوع والملل لا تستطيع الكلمات وصفها بعد حصة الدراسات الاجتماعيّة للأستاذ «دربيع»، تلك المادة الَّتي استعصى عليه دومًا فهمها، فضلًا عن استيعاب الهدف من دراستها في الأساس. على أيَّة حال ها هي الفسحة قد حانت وحان معها وقت اللعب والأكل والمرح.

عادل الطفل البليد الكسول الأكول، ينعته أهله وأصدقاؤه «دعدول» أمَّا المقربون فقد أجمعوا على تسميته «دكعبول»، وليس لحبه لمسلسل الرسوم المتحركة الَّذي يحمل ذات الاسم، وإنما لتلك الصفات

المشتركة بينه وبين بطل تلك الحلقات «دكعبول الأكول».

خرج عادل يتهادى بخطوات واثقة نحو فناء المدرسة؛ لِما كان يحمله في جيبه في هذا اليوم من نقود كان قد حاز عليها في اليوم السابق، ولهذا كانت وجهته الأولى حُبُّه الأول والأخير «دالكانتين»، وهناك اشترى «دكيس قلبظ» الَّذي كان بالصدفة البحتة يشبهه أيضًا -وكثيرًا- بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الحلويات المتنوعة الأخرى، فقد كان الربع جنيه الكامل الَّذي حازه من أمه بالأمس ثروة فعلية.

أصدقاءُ السُّوء

بعد أن فرغ عادل من أكل ما تستهويه نفسه من أصناف الكانتين المحدودة، كانت قد تبقت دقائق محدودة من زمن الفسحة، اتجه نحو تلك البقعة من الفناء الَّتي يجتمع فيها وأصدقاءه المقربين «دأصدقاء السوء»، وما كان من شيء يجمعهم سويًّا سوى الكراهية، كراهية الدراسة، كراهية الالتزام، كراهية

التعليـم، كراهيـة الطلبـة المجتهديـن، وبالطبـع بعـض الحـب للعـب والشـجار، لذلـك فهـم حرفيًّا أصدقاء سـوء، وجـد أصدقـاءه مصطفِّيـن فـي حلقـة يحاولـون توحيـد الـرأي نحـو ماهيـة اللعبـة الَّتـي سـيلعبونها فـي الدقائـق التاليـة قبـل جـرس انتهـاء الفسـحة، وكمـا جـرت عادتهـم سـوف يتلكـؤون كثيـرًا فـى العـودة للصـف إلـى أن يُرسِـل مـدرس كل صـف لهـم مـن يسـتدعيهم علـى وجـه السـرعة وإلَّا يواجهـون عقوبـة الغيـاب.

استمر الجـدال والشـجار دون الاتفـاق ودق جـرس انتهـاء الفسـحة ولـم يَنْتَـهِ اجتماعهـم، خـلا الفنـاء مـن معظـم الطلبـة إلَّا هـؤلاء ومـن هـم علـى شـاكلة كعبـول وأصدقائـه، ووسـط صخـب جدالاتهـم العقيمـة، لاحـظ كعبـول أن البوابـة الحديديـة العملاقـة لمبنـى المدرسـة الرئيسـيّ والَّتـي تفصلـه عـن الفنـاء قـد أُغلقـت للمـرة الأولـى منـذ دخولـه المدرسـة، فنظـر إلـى بوابـة الفنـاء الأخـرى الَّتـي تـؤدي إلـى الشـارع فوجدهـا أيضًـا مغلقـة، فلفـت نظـر أصدقائـه أنهـم أصبحـوا شـبه سـجناء بهـذا الفنـاء، فسـاد الصمـت والوجـوم ونظـر التلاميـذ بعضهـم لبعـض دون أن يفهمـوا مـا يحـدث، وانفتـح بـاب حديـديّ

صغير يتوسط بوابة المبنى الدراسيّ وخرج منه المعلمون والإداريون جميعًا يلبسون بِزَّات سوداء مميزة، ومعهم سلَّات كبيرة، واصطفوا جميعًا أمام تلك البوابة، وأمسك مدير المدرسة بالميكروفون وشرع في الحديث.

السَّمكة والصَّياد

أبنائي الطلبة، طبعًا انتوا سمعتوا من شوية جرس انتهاء فترة الفسحة وبداية الحصة الرابعة، وطبعًا كما هي عادتكم اتخلفتوا عن فصولكم وفضلتم في الحوش عشان تلعبوا، ولذلك الإدارة وهيئة التدريس قرروا يشاركوكم نفس الحالة، واخترناكم النهاردة عشان نديكوا نص اليوم الباقي دا حصة ألعاب، مش بس كده، إحنا كمان هنلعب معاكم.

تعالت صيحات الفرح ومعها تعالت أجساد التلاميذ في الهواء يتقافزون فرحًا وشغفًا، وفي الحال بدأ المعلمون ينقسمون لفريقين، فريق ظلَّ في مكانه ومعه السلَّات، والآخر اتجه إلى الجنب الآخر من الفناء

حيث كان التلاميذ في الوسط ما بين الفريقين، ومن جديد تكلَّم مدير المدرسة:

أول لعبة هنلعبها معاكم هي السمكة والصياد، المدرسين هيحاولوا يصطادوكم بالكور الجميلة اللي معانا دي، واللي الكورة هتيجي فيه هيخرج من اللعبة، واللى هيقدر يكمل الوقت من غير ما الكور تلمسه هيكسب، واللي يقدر يمسك كورة هيكسب مباشرة ويتأهل للعبة التانية، ومدة اللعبة دي 5 دقايق تبدأ من دلوقتي.

وانْطَلَقتْ من المدير ضحكات عالية بدت للطلاب شريرة على الرغم من شغفهم بمشاركة معلميهم اللعب والمرح، لاحظ الطلبة أنَّ جميع المعلمين قاموا بارتداء قفازات غريبة، وأخرجوا كرات صغيرة الحجم تشبه في الحجم كرات التنس، ولكن الاختلاف الأكبر أنها كانت تبدو لهم ككرات حديدية يخرج منها نتوءات مدبَّبة طويلة، وقبل أن يتملَّك الفزع من التلاميذ من خطورة الكرات تلك، انطلقت الكرات كالقذائف من أيدي المعلمين في اتجاه التلاميذ، وسقط أول تلميذ كان يقف أمام عادل صريعًا مخضَّبًا بالدماء بعد أن أصابت الكرة رأسه مباشرة.

كان المشهد حقًّا تشيب له الوُلْدان، وبالفعل شاب الولدان وانطلقت صرخات الهلع والفزع منهم هذه المرة وأخذ التلاميذ يركضون بلا هدف فرارًا من قذائف المعلمين القاتلة، ومنهم من انهار في الأرض والآخر الَّذي حاول الاختباء بزميلة واستعماله كدرع، والآخر الَّذي حاول أن يمثل دور القتيل.

وسط ذهول الطلبة وفزعهم كان عادل يركض بلا هدف ويتعرقل في الكثير من المرات ويصطدم بزملائه، فقد ركض وسقط كما لم يفعل في حياته من قبل، إنَّه الهروب من الموت، مرَّت الدقائق كأنها سنوات، ولكنَّها مرَّت ورنَّ الجرس هذه المرة معلنًا انتهاء اللعبة، وكان كعبول من الناجين.

كَهْرَبَا

وفور توقف المعلمين عن إطلاق القذائف الحديدية المدبَّبة على الطلبة، وقف الطلبة في وسط الفناء منهارين من الألم والإرهاق والبكاء، ولكنَّ المعلمين

لـم يتوقفـوا، تحـرك المعلمـون نحـو السـلّات الّتـي كانـت معهـم مـن جديـد، وأخـذوا منهـا أجهـزة لـم يتبينهـا التلاميـذ وبـدأوا يتحلّقـون مـن حولهـم، ومـن جديـد أمسـك المديـر بالميكروفـون وقـال:

أتمنى تكونوا مبسوطين ومستمتعين، ما تقلقوش لسه فيه ألعاب كتير إحنا لسه معانا اليوم كله، يالا اللعبة التانية كهربا، المدرسين هيجروا وراكم واللي هيقول «كهربا» ويقف هيبقا في أمان لحد ما تلميذ من اللي بيجروا يلمسه ويقول «شد الكوبس»، وطبعا اللي مدرس هيلمسه وهو بيجري هيخسر، وآخر تلميذ بيجري ما ينفعش يقول كهربا إلّا لمّا يشد الكوبس لتلميذ تاني يالا اللعبة دي كمان مدتها 5 دقايق.

وانطلق المدرسين وراء التلاميذ ومنهم من سارع كعادل بالصياح «كهربا» وثبت في مكانه ليتجنب الخسارة ومنهم من سارع بالركض ومن ورائه المعلمون، واتضح للتلاميذ أن المعلمين يحملون في أيديهم أسلحة الصعق الكهربائيّ ومن يلمسه الصاعق يُردى أرضًا، وكانت القاعدة هنا أنه كلما سقط

آخـر لاعـب يجـري، تنـزع عـن جميـع اللاعبيـن الحصانـة ويتوجَّـب عليهـم الركـض، كان عـادل يجيـد هـذه اللعبـة جيـدًا وليـس بالركـض أو المراوغـة لكـن بالغـش والحيلة، فدائمًـا مـا كان يقـول «دكهربـا» سـريعًا ويقف إلى جـوار أيٍّ مـن زملائـه ولـو حـرَّره أحـد الراكضين سـرعان مـا يلمس زميلـه المجـاور يحـرِّره ويتحصَّـن هـو بقـول «دكهربـا».

رنَّ الجـرس. نجحـت حيلتـه واسـتطاع أن ينجـو وهـو واقـف يشـاهد زمـلاءه يتسـاقطون صعقًـا واحـدًا تلـو الآخـر حتَّـى كان الباقـي منهـم مـع نهايـة الخمـس دقائـق لا يتعـدى العشـرة تلاميـذ ومنهـم المحظـوظ كعبـول.

اثْبَتْ صَنَم

ارتمـى الناجـون أرضًـا وهـم يشـاهدون عمـال النظافـة يخرجـون الضحايـا مـن الفنـاء، وعلامـات الرعـب والذهول والفـزع لا تغـادر وجوههـم، ومـن جديـد تحـدث المديـر: برافـوا، انتـوا مـن الصفـوة، ولازم تكملـوا معانـا اليـوم الجميـل دا، مـن غيـر كلام كتيـر اثبـت صنـم، 5 دقايـق. وانطلـق المعلمـون مـن جديـد نحـو السـلَّات، وأخرجـوا

منها مطارق ذات رؤوس حديدية أو «شواكيش»، وأمسك كلٌ منهم باثنين، شاكوش بكل يَد، واصطفوا متلاحمين في دائرة ضيقة حول التلاميذ ووقفوا في وضع الصنم الشهير، حيث يقف اللاعبون «الَّذين يلعبون دور الصنم» في دائرة وأيديهم ثابتة في الأعلى وفي الوسط الضحايا، من يغفل عن أحد الأصنام يقوم الصنم بضربه دون أن تراه الضحية، وإن رأت الضحية الصنم يتحرك يقول اثبت صنم ويخسر الصنم، ولا مخرج ولا منجى للضحايا من الضرب إلَّا بانتهاء الوقت.

احتمى التلاميذ بعضهم ببعض ومن حولهم حلقة المعلمين ترفع أيديها لأعلى وبها الشواكيش، وسرعان ما انهالت الضربات المميتة على رؤوس من يغفل من التلاميذ.

انتاب عادل الفزع وأخذ يتلفَّت يمينًا ويسارًا وأصدقاءه يتساقطون واحدًا تلو الآخر وهو لا يدري من أين ستأتي تلك الضربة الَّتي ستقضي عليه، استعاد أمام عينيه شريط حياته الَّذي على الرغم من قصره إلَّا أنَّه

كان مليئًا بالإهمال والكسل والفشل والغباء، ولَم تتخلّله لحظة نجاح واحدة، فتمنّى لو عاد ولو للحظة ليهتم بدروسه ويعود لحصته فورًا بعد انتهاء الفسحة بلا كلل.

ولكنّ الضربة كانت أسرع من التمني فأتته ضربة على خلف رأسه ظن فيها مماته وكان يصرخ: حرّمت حرّمت، فسقط أرضًا مغمِضًا عينيه وأتته ضربة أخرى أشد من الأولى ومعها صوت يميزه جيدًا، إنّه صوت الأستاذ ربيع مدرس الدراسات الاجتماعيّة، يضربه على رأسه من الخلف قبل نهاية الحصة لعله ينتبه للدرس قبل جرس الفسحة، فانتبه كعبول من غفوته وسرعان ما تحسس جيبه في فزع فوجد الربع جنيه على حاله في انتظار الفسحة المجيدة.

مهرجان
الجُوزة
ترندات
وتوباكو

مِهْرَجَان الجُوزَة

صبيح السويسي

في صباح أحد أيام شهر أكتوبر، حيث كانت نسمات الخريف العليلة تطارد فلول صيف حارق، خرج الحاج صبيح السويسي سليل عائلة السويسي العريقة، في كارتَّتِه الفارهة الَّتي يجرها زوج من الأحصنة ذات العرق العربي الأصيل، خرج يطالع أملاكه وأفدنته الَّتي كادت تقترب من نصف مساحة «كفر الحمير»، تلك القرية الَّتي استوطنتها عائلته منذ قديم الأزل.

وبعد مسيرة طويلة ملأ فيها صدره من هواء الخريف الجميل وملأ عينيه من جمال أملاكه واتساع رقعتها، وصل إلى حد القرية الَّذي يلامس الترعة، وهناك وجد بناءً جذابًا يسرُّ الناظرين -بمقاييس تلك القرية بالتأكيد- وما كان هذا البناء إلَّا مقهًى تمتلكه عائلة السويسي بالطبع، فترجَّل عن كارتته وترك قيادتها للخادم ودخل مسرعًا إلى المقهى.

حبيب السويسي

دخل صبيح المقهى وفي الطرف المقابل للباب وجد أخيه الحاج حبيب مهندس هذا البناء الجميل، والّذي اختار هذا المكان بالتحديد حيث الإطلالة الجميلة على الترعة، والهدوء والبعد عن صخب القرية وأزقتها، وربّما أيضًا كان هذا البعد مقصودًا ليقصر الحضور إلى هذا المقهى على كبار البلد ممن يمتلكون وسيلة تنقلهم لهذا المكان البعيد.

ولكنّ صبيح وجد أخيه وشريكه في تلك الأملاك العملاقة حبيب ساهبًا مهمومًا يفكر، للدرجة الّتي جعلته لا يلتفت لدخول أخيه الأكبر، فبادره صبيح بالكلام:

صباح الخير يا حبيب، مالك شايل طاجن ستك وبتفكر في إيه؟

فالتفت إليه حبيب الّذي انتبه فجأة لوجوده وقال:

صباح الفل يا صبيح، بصراحة مش عارف الحال في القهوة هنا زي ما انت شايف، مافيش رِجل وحاسس اننا ممكن لا قدر الله نخسر في المشروع دا، دا حتّى

المِعسِّل اللي جبناه وخزِّناه من سنتين أول ما فتحنا القهوة لسه بحالته وقرب يعِتْ من الركنه.

مِهْرَجَان الجُوزَة

فتوتَّر صبيح من تلميح أخيه حبيب لاحتمال الخسارة، فتلك الكلمة مرفوضة، بل محرَّمة في هذه العائلة عبر العصور، فشارك أخيه التفكير ثم لمعت عيناه وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وقال: طيب واللي يحلها لك يا هندسه؟

فأجابه حبيب: أديله نص ربح المعسل المركون دا.

فضحك الأخوَان دون موافقة أيٍّ منهما على اقتراح الآخر، ربَّما لطمع صاحب الفكرة ولبخل الآخر، ثم استرسل صبيح في عرض فكرته لأنَّ أكثر ما كان يهمُّه هو تجنُّب الخسارة والتربُّح من أي مشروع أيًّا كانت الوسيلة وقال: بص يا هندسة؛ إحنا هنعمل مهرجان.

فتعجب حبيب وأجاب باستنكار: مهرجان؟! أغنية يعني؟ ماتصغرناش يا حج.

فضحك صبيح وأكمل: بص لو المهرجانات هتكسبنا

هنعملها طبعًا، بس لا مش المهرجان اللي بيتغنّى، مهرجان جوزة، اسمعني للآخر وهتفهم.

هنعمل حفلة كبيرة ندعي فيها أهم كُبرات البلد والأغنيا قوي عشان يحضروا ويفرفشوا ويدخنوا جوزة ببلاش، وكمان ممكن نشغل الكارِتّات بتاعتنا تجيبهم لحد القهوة وبردو ببلاش، ونعمل مسابقة بينهم فى أكتر واحد يسحب حجارة من غير ما نفسه يتقطع ونوزع عليهم هدايا كمان.

ودول بقا يكونوا في الصالة اللي احنا قاعدين فيها دي، وبره بقا هنعمل الآتي، هنجيب الواد «دقرني الديب» بتاع الفِراشة وميكروفونات الأفراح يفرش لنا خيمة وكراسي بره للناس اللي عايزة تيجي تتفرج عالمهرجان والمسابقة، ودول بقا يدفعوا على الفُرجة والجوزة والمشروبات، ونشغل دي جي، ونخلي الولا قرني يلف على البلد كلها بعربية عليها ميكروفون يذيع فيها عن المهرجان والمسابقات والمفاجآت.

الفَجَر

أمعنَ حبيب في التفكير بما يقترحه أخوه صبيح، وقد

استهوته الفكرة، ولكنه كان يشعر أن شيئًا مازال مفقودًا، فعبَّر عن هذا بقوله: بُص يا صبيح هي الفكرة حلوة بس كده احنا زي المغسِّل اللي ضامن جنَّه، إيه اللي هيخلِّي الغلبان ولاَّ الفلاح يجي يتفرج عالكُبرات وهما بيشربوا جوزه ولاَّ بيلعبوا في مسابقة ببلاش وهو يدفع؟ لسه مش مقتنع، وخايف نتورط والخسارة تكبر.

فأجابه صبيح بخُبْث: محنا هنجيبلهم اللي بيطلَّع القرش من كَبَابي عنيهم.

فتعجَّب حبيب من ثقة صبيح وسأله: ودا مين دا يا حج؟

فأجاب صبيح بثقة تصل للغرور: اللي كل مرَّه بيريلَّوا عليهم وما بيطولوش منهم حاجه، نسوان الغجر، هنخلي الولا قرني يفرش سجاده من أول الخيمة اللي هنعملها برة لغاية باب القهوة، بحيث إن كل واحد قاعد بره يشوفها ونخلي الغجر يبحبحوها شوية في اللبس والدلع ويدخلوا واحدة ورا التانية، اللي تغني واللي ترقص واللي تتقصع جوا بقا للكُبرات واهم الغلابة يتفرجوا ويتبسطوا.

هنا انشرح وجه حبيب عن ابتسامة تتسع لما بين

أذنيه وقال: الله عليك يا كبيرنا يا أستاذ، توكلنا على الله.

فأجابه حبيب بفرح وأمل: على بركة الله.

قرني الديب

انطلق قرني بحملة إعلانية ضخمة تملأ فضاء «كفر الحمير» بالكامل، الآلاف من الصور للفجريات الجميلات الّاتي يكتسين بما يفضح أكثر مما يستر، والسيارات الّتي تسير داخل البلد على مدار الساعة للإعلان عن مهرجان الجوزة وما سيتضمنه من مسابقات وفقرات ومتعة غير مسبوقة في كفر الحمير ولا في الكفور المجاورة، ممّا أثار جَلَبة وضجة في البلد بالكامل هذا الحدث الجلل وجعله حديث أهل البلدة جميعًا كبيرهم وصغيرهم، مما أثار حفيظة إمام المسجد الشيخ «عبد الله شكري» الّذي ثار وهاج وماج في خطبه المتتالية في المسجد بعد الصلوات، وراح يحذر من خرابٍ مدمّر من جراء الانجرار وراء هذا العري والفحش والبغاء الّذي أتى به آل السويسي للبلدة، وعن العواقب الوخيمة لانجرار البلدة وراء هذه الفتن المدمرة، وفي

اليـوم الّـذي يسـبق المهرجـان خـرج وسـط حشـد مـن المصليـن بعـد خطبـة عصمـاء أعقبـت صـلاة المغـرب وقامـوا بتمزيـق الصـور المعلّقـة علـى الحوائـط، بـل إنّهـم استهدفوا إحـدى السـيارات المعلِنـة والّتي كان بها قرني بنفسـه فكسـروها وأبرحـوه ضربًـا لعلـه يرتـدع، ومـا كان لهـذا الحـادث إلّا أنْ زاد إصـرار أهـل البلـدة علـى الحضـور، فكذلـك هـي؛ الحيـاة المحـرّم والممنـوع دومًـا مرغـوب ولـو مـن بـاب الفرجـة.

اللّيلة الكبيرة

وفـي الليلـة المنتظـرة، وبأجـواء احتفاليـة كبيـرة، جلـس قرني إلـى جـوار الـدي جـى وكانـت جروحـه وكدماتـه مـا تـزال ظاهـرة للعيـان، جلـس علـى منصـة عاليـة وفـى يـده كعادتـه الميكروفـون يعلّـق علـى الأحـداث ويفصِـل دخول الفجريّـات واحـدة تلـو الأخـرى بملابسـهنّ ومواهبهـنّ البـارزة والمتعـددة، والمئـات مـن أهـل البلـد يصطفُّـون وقوفًـا وقعـودًا ونيامًـا وفـوق بعضهـم البعـض فـي الخيمـة الخارجيـة، عسـى أن تنـال عيـن أحدهـم نظـرةً أو بسـمةً مـن إحـدى الفجريـات الجميـلات، حتّـى أن الجمـع

بالخارج لم يخلو من الشيخ عبد الله نفسه وأتباعه الَّذين ربَّما أتَوا لمقاومة ما يحدث أو حتَّى لمشاهدته والمشاركة به، فالله وحده أعلم بالنوايا.

انطلق الحفل الكبير ودارت الجوزة بالداخل والخارج، وكان الإقبال مُنقطع النظير، تمامًا كملابس الفجريات مُقطعة تكشف وتشف ولا تستر، فوقف الشيخ عبد الله يخطب في الناس بالخارج ولا يترك فرصة يسترق فيها النظر لفجرية تمرُّ من هنا أو هناك: حرام عليكم أيُّها الناس، اتقوا الله، سيخسف الله بكم الأرض وتنالون من الله ما تستحقون على هذا العري وهذا الفجور.

وبعدما تعالى صوته خرج من الداخل الحاج صبيح وأخوه المهندس حبيب السويسي وهما يختالان بما حققاه من نجاح باهر قضى في أول ساعة من الليل فقط على مخزون المعسل بالكامل ونصف مخزون فحم القرية، وخاطب الحاج صبيح الجمع قائلًا: اللي مابيحبش مهرجان الجوزة ما يتفرجش.. ويتقي الله ومايبصش على الفساتين.

وانطلـق وأخيـه بضحكـة مدوِّيـة نالـت مـا نالـت مـن أعصـاب الشـيخ عبـد اللـه الَّـذي وقـف مشـدوهًا مـع الجمـوع بـلا حـول ولا قـوة، زادت سـخونة الأحـداث والملابـس والأجـواء، وتناقـل الخـدم الفحـم المشـتعل بين الحضـور لتغيير أحجـار الجـوزة، ومـع السـخونة الزائدة تدافعـت الجمـوع بالخـارج لمَّـا مـرت إحـدى الفجريـات بفسـتان أكثـر حـرارة مـن الفحـم المشـتعل، فأصـاب التدافـع أحد الخدم من حملة الفحم، فسقط وسقطت معـه النـار علـى أطـراف الخيمـة.

فانتشـرت نيـران لا تبقـي ولا تـذر فـي الخيمـة والمقهـى بالكامـل، والنـاس والفجـر وأغنيـاء البلـد كلٌ يبكـي علـى ليـلاه، فمنهـم يلـوذ بالفـرار، ومنهـم مـن يحـاول التحـرش بإحـدى الغانيـات، وأبنـاء السويسـي يندبـون خسـارتهم الفادحـة، وعلـى أطـراف الخيمـة المحترقـة وقـف الشـيخ عبـد اللـه يصيـح بأعلـى صـوت يمتلكـه النصـر والشـماتة تمـلأ عينيـه وقلبـه: إلهـي تولعـوا بجـاز وسـخ فـي الدنيـا والآخـرة يـا ولاد الكلـب.

الثانوية
اللعنة
ترندات
وتوباكو

الثَّانويَّة اللَّعنة

في السادسة صباحًا يخرج من باب بيته خائر القوى مُنهك الأوصال يحاول أنْ يلملم شتات تركيزه الضائع بسبب التوتر ونَدرة النَّوم، فقط دعوات أمه وأبيه كانت تصاحبه وهو يخرج من الباب كأنَّه ذاهبًا إلى حتفه، فكانت أمه مفطورةً وكاد أبوه يبكي من فرط القلق والتأثر.

كان هذا هو اليوم المنتظر منذ سنين، يوم الحصاد، مشى بخطوات مترددة وهو يخشى أن يفتح الباب لخياله لِما هو مُقدِم عليه، يقف على قارعة الطريق العموميّ في انتظار السيارة الَّتي ستحمله من قريته النائية إلى المركز حيث يكون على موعد مع إحدى الخطوات النهائية في تحقيق حلمه وحلم أبيه وأمه وإخوته الصغار، بل حلم القرية كلها.

وقف ينتظر تلك السيارة نصف النقل أو ربع النقل -كما يدعونها في أماكن أخرى- المتهالكة ذات الصندوق الخلفيّ المغطَّى بقطع قماش مهترِئة، يمنِّي نفسه

بـأنَّ يجـد مقعـد فـي مقدمـة السـيارة يوفـر لـه بعـض السـكينة أو ربمـا القليـل مـن النعـاس الَّـذي قـد يخفـف حـدَّة أرق الليلـة الماضيـة، ولكـنْ سـرعان ما تكسَّـر الحلم أمـام أول سـيارة ممتلئة تتوقف أمامـه بعد وقت طويل مـن الانتظـار، ولـم يكن من بُد من الوقـوف على الصدام الخلفـيّ للسـيارة والإمسـاك بالصنـدوق الحديـديّ فـي رحلـة العشـرين دقيقـة المعتـادة إلـى المجهـول.

وبينمـا كانـت نسـمات الهـواء تتلاعـب بشـعره وعقلـه بدأ يسـتحضر فـي ذهنـه مـا كان قـد حضَّـره ليـوم الحصـاد الكبيـر، فاليـوم هـو يـوم امتحـان الرياضيـات فـي عامـه الثالـث مـن المرحلـة الثانويـة.

منـذ نعومـة أظفـاره وهـو يتأهـب وأهلـه ويتـم إعـداده لهـذه الملحمـة ولهـذا اليـوم، وحتَّـى قبـل بدايـة السـنة الدراسـية قـد فـرض أهله حالة الطوارئ العامة وسُـحبت كل أجهـزة الترفيـه منـه ومـن إخوتـه، وتـم فـرض حظـر التجـول العائلـيّ أثنـاء مذاكرتـه، وكان أبـوه يعمـل بجـد ويكـدح فـي أكثـر مـن وظيفـة لتوفيـر متطلباته ودروسـه وكافـة مـا يلزمـه.

وصل موقف السيارات في أطراف المدينة وانطلق على قدميه سعيًا إلى غرفة حصص التقوية لكي يحضر حصة المراجعة النهائية ما قبل الامتحان بسويعات.

ولكنَّه لاحظ أنَّه يضل الطريق، أخذ يعتصر ذاكرته للذهاب لتلك الغرفة الَّتى ظل يرتادها طوال العام أكثر من مرتين أسبوعيًّا، ولكنَّه كان عالقًا في إحدى متاهات الوهم، يمشي بلا هدف ولا يصل إلى وجهته، انتابه الرعب وبدأ يبحث عن حلٍّ بديل ينقذ طموحه وأحلامه، فقرر أن يتجه للمدرسة مباشرة لكي لا يتأخر عن الامتحان، ويستذكر أثناء طريقه مراجعته للمادة بالليلة الماضية.

عصر مخه ولم يجد إلَّا شيئًا واحدًا هو العدم، حرفيًّا لا شيء، فهو لا يتذكر الحصص، ولا المنهج ولا الأرقام ولا الكلمات ولا أيّ شيء، إنَّ الحلم يهرب منه، إنَّه حقًّا مرتعب، يرتعد من فرط الخوف، صرخ قلبه داخله، اليوم تحصد ما زرعت من إهمال واستهتار، يركض كالمجنون في طرقات المدينة لعله يدرك أصدقاءه قبل الامتحان فيساعدونه بأي معلومة، ولكنَّه لا يتذكر أيّ أصدقاء.

وصل فجأة إلى بوابة المدرسة، ولا يعلم كيف هداه الطريق إليها، ليجد زملاءه يخرجون من البوابة أفواجًا يتضاحكون، فيقترب منهم في وجلٍ مفزوعًا يسأل:
هل انتهى امتحان الرياضيات؟
فيتعجب الطلبة من سؤاله واستهتاره: أيّ رياضيات وأيّ امتحان أيُّها الفاشل، لقد كان اليوم امتحان اللغة العربية وقد انتهى لتوه يا لك من مستهتر فاشل.

فجأة ترتفع أصوات مزعجة ومرعبة في محيط المدرسة، أصوات يدركها جيدًا، إنَّها موسيقى مزعجة، إنَّها نهاية العالم، بل هذا أذان، بل أجراس كنيسة، بل إنذار حريق، بل جرس إنذار، أو إنَّه المنبه!!
يفتح عينيه ليدرك أنَّه صوت المنبه يوقظه ليلحق بدوامه ليذهب ويقضي آخر أيامه في وظيفته قبل التقاعد والإحالة إلى المعاش. ليدرك أنَّه ذات الكابوس من جديد، واحد من سلسلة الكوابيس العالقة في الذاكرة ولا تنفك تتكرر مرات ومرات بلا كلل ولا ملل ولا انقطاع منذ أصيب بتلك اللعنة.

إنَّها الثانوية اللَّعنة.

لحم على الرصيف
ترندات وتوباكو

لحمٌ عَلَى الرَّصِيف

قبل انتصاف الليل بساعتين اتخذت عفاف طريقًا مختصرًا لتصل إلى منزلها سريعًا لعلها تستطيع أن تظفر بقليل من الراحة قبل بدء دوامها، عفاف تلك المرأة الجميلة الَّتي رسم فيها الزمن أجمل مخطوطاته، فكانت لوحة فنية متكاملة تحمل من الزمن تلك الخطوط المتناسقة والمتضادة والعبقرية، فنُحت جسدها بخطوط انسيابية مفعمة بالتفاصيل الجذابة، وحفر في وجهها وعينيها علامات الهمِّ والقهر والظلم والعوَز فكانت تحفة يشتاق أعتى الرجال أنْ يقتنيها وينفِر منها في ذات الوقت.

ولمَّا كانت طبيعة عملها تتطلب منها اليقظة والابتسامة والمثابرة والفطنة وأيضًا حسن المظهر، كانت لحظات الراحة تلك ضرورة وليست رفاهية، وما كان يشغل بالها كيف لها أن تقتنص تلك اللحظات من بيت صغير يعجُّ بسكان تتعلق أقواتهم بذات عملها، ولكنَّهم للأسف لا يأبهون به؟ وأثناء عبورها

مسـرعة مـن أحـد الشـوارع الفرعيـة الهادئـة فـي ذلـك الوقـت، كان ضَبَـش يقـف إلـى جـوار عمـود النـور ينفُـث سـيجارته ويـندب حظـه العفـن، حـظ لازمـه واعتنـى بـه للغايـة ولـم يفارقـه منـذ ولادتـه، حـظ كان حريصًـا علـى غـرس الفشـل فـي كل خطواته وسـكناته، حـظ جعل منه شـبه مشـرَّد، شـبه متعلـم، شـبه عامـل وشـبه إنسـان.

ولمَّـا لاحـت لـه عفـاف فـي الأفـق وجـد فريسـته المُثلـى الَّتي سـتشـفي جـراح ليلتـه ونهـاره، بـل عندمـا نظـر إليهـا فـي تلـك السـاعة شـعر أنهـا المنشـودة الَّتي قـد تطفـئ نيـران حياتـه وشـهواته المسـتعرة ومـا وجـد لهـا مـن كابـح.

وكمـا يغـازل الذئـب فريسـته تحـرك لعلـه يظفـر ببعـض مـن لحمهـا الأبيـض البـض.

وعلـى الطـرف المقابـل مـن الطريـق كان حسـين يمشـي بخطـوات متثاقلـة يحلـم باللحظـة الَّتي ينتهـي فيهـا يومـه هـذا علـى سـريره ليختتـم يومًـا جديـدًا لـم يحمـل سـوى الزيـف والظلـم والقهـر والاسـتغلال مـن منظـوره، كان يحلـم بنـوم هـادئ يحمـل عـن كاهلـه بعـض أعبـاء قـد

أثقلته، ويتمنّى أن يفضي إلى فجر ينشقُّ عن شمس تشرق بنور الحق والعدل.

تبِعه بخطوات مروان الشاب المتمرد الّذي كما يصفه أصدقاؤه، يستبق خطواته في الطريق إلى ذلك المقهى الّذي يسميه وأصدقاؤه وكرًا، يسهرون به دومًا يتبادلون أحاديث لا تنفع ولا تنقطع عن أمنيات لا تحدث.

وبالصدفة كان حسين ومروان على موعد لرؤية هذا المشهد الحيوانيّ الغرائزيّ الفريد، في وسط الطريق، فانتفض حسين يصيح.

حسين: ما انتوا لو بتتقوا ربنا في لبسكوا ماكنتش كلاب السكك نهشتكوا.

فلمَّا سمع مروان ما قاله حسين وكان المشهد مازال في عرض لا يتوقف.

مروان: شوف التخلف والرجعية بدل ما تلومه على سلوكه الحيواني الغرائزي بتلومها على حريتها الشخصية.

حسين: ما هو انتوا يا أهل الدياثة يا تجار الفُحش يا رعاة البِغاء السبب في هذا الانحدار الأخلاقي انت والعلمانين الملحدين من أمثالك يا كافر يا نجس.

مروان: انتوا يا دواعش العصر ويا خوارج الأمة والدين السبب في التخلف والرجعية اللي مخليانا في قاع العالم، اندفع حسين نحو مروان في نفس اللحظة الَّتي كان مروان ينحني ليمسك حجرًا كبيرًا بجواره أمسك مروان بالحجر وهشم به رأس حسين الَّذي كان يحمل في يده مُديَةً صغيرةً كان يحتفظ بها للدفاع عن نفسه، وأثناء اندفاعه أصاب بها أحشاء مروان قبل أن تتهشم رأس حسين.

سقط الاثنان على الأرض كلٌ مدرج في دمائه يلفظ أنفاسه الأخيرة، وعلى مرمى البصر كانت عفاف غير آبهة بما حدث عند بداية الطريق، وكانت على موعد مع بضعة جنيهات وسيجارة ملفوفة من ضبش إيذانًا بليلة عمل صاخبة جديدة بدون راحة، ليلة قد تطفئ نيران ضبش الثائرة منذ بلوغه وقد تبدل حظه، وتكسب عفاف بضعة جنيهات إضافية يقتات بها أهل بيتها، وزبونًا جديدًا.

هرمونات
قاتلة
ترندات
وتوباكو

هُرْمُونَات قَاتِلَة

مع دقات الساعة العاشرة مساءً لملم «درالف» أغراضه وودع زميلته وربة عمله في ذات الوقت «درولينا»، الَّتي كانت تمثِّل معنى اسمها وبدقة شديدة، فقد كان اسمها يعني (المرأة الخالية من العيوب) وكانت بالفعل كذلك فلا عيوب تذكر استطاعت أن تنال من جمالها الأخاذ وعودها الممشوق وطلتها الراقية اللطيفة، وكان هذا بالطبع من حسن حظ «درالف» ومن سوء طالعه في ذات الوقت.

خرج رالف من ذلك المطعم الصغير الَّذي يعمل به كنادل، كان المطعم يقع في إحدى زوايا ساحة تسمى «درومر» والَّتي تُعد من أعرق الساحات وأقدمها في مدينة «دفرانكفورت» الألمانية الَّتي تقع في وسط غرب ألمانيا على ضفاف نهر «دالماين»، تلك المدينة التجارية الرتيبة الكئيبة في كثير من الأحيان، خرج يخطو بخطوات ثقيلة -كما كان يوم عمله- ما بين تلك الكنائس والمباني العتيقة الَّتي تزين تلك الساحة وتجعلها قبلة لزوار مدينة فرانكفورت في هذا الوقت

من العام، في النصف الثاني من شهر أكتوبر حيث معرض فرانكفورت الدوليّ للكتاب الّذي يرتاده آلاف الزوار من مئات الجنسيات من العالم.

وبعد خطوات قليلة كان يعبر «الجسر الحديديّ» كما يسميه سكان المدينة والّذي يقطع نهر «المايين» الشهير، ذات الجسر الذي يسميه زوار المدينة «بجسر الحب»، لِما يضمُّه من آلاف الأقفال الّتي يضعها العشاق على جانبيه ثم يلقون بمفاتيح تلك الأقفال في قاع النهر في نُسك غريب وكأنّه صلاة في محراب الحب تنتهي بإعلان علاقة لا تنفك قيودها بين العشيقين كما القفل الّذي لا ينفك بعد ضياع مفتاحه.

وما هي إلّا خطوات حتّى اختلس النظر كما هي عادته لذلك القفل الّذي وضعه وصديقته «جيزيل» قبل سنتين عندما كانت العلاقة بينهما تبشِّر بالكثير من الحب والود، بل كانت مفعمة بالتفاهم والتجانس، ولكن كعادة تلك القصص فعلت الأيام أفاعيلها المعهودة في تلك العلاقة فبدلتها وحولتها من جنة خلد إلى نار موقدة، نظر نحو قفل حبّه بحسرة وندم،

ولكنَّه فوجئ بأن القفل قد اختفى، فلابد أنَّه قد حان وقت إزالته مع ما يُزال كل عام من أقفال لمَّا يتثاقل حمل الجسر.

في تلك اللحظة قرر أن يتمرد على «دجيزيل»، فقد اكتفى من تلك الغيرة اللعينة الَّتى تنغص عليه حياته، ظنها في البداية أسيرته كما يعني اسمها (أسيرة حرب أو رهينة) ولكنَّه فوجئ بنفسه هو أسير شباكها وغيرتها ونكدها المستمر، فبعدما انتقلا للعيش معًا في تلك الشقة الصغيرة على الجانب الجنوبيّ من نهر «دالماين» بشهور، والتحق بذلك العمل في المطعم الَّذي تملكه «درولينا» حتَّى استحالت حياته معها لجحيم، فكانت صديقته دائمة الشك، مفرطة الغيرة، تفتقد للكثير من ثقة النفس، ومع جهل رالف في التعامل مع تلك الحالات أو حتَّى ملاحظتها دخلت «دجيزيل» رويدًا رويدًا في حالة من الاكتئاب حتَّى وصلت في هذه الأيام لإحدى مراحل الاكتئاب المتقدمة وهي تتمنَّي الموت.

لم يكن «درالف» فقط قليل الخبرة في احتواء تلك الحالة، بل إنَّه بدأ يتأثر بها وينفِر منها وينفِر من حياته

ككل، ممَّا أرَّق عليه عودته وزاد من همومه وأحال مسكنه من سكنٍ إلى مصدرٍ من أكبر مصادر الألم.

فتح باب شقته الصغيرة في الطابق الثاني، ليجد «جيزيل» منهارة في إحدى نوبات البكاء المتصلة في الأيام الفائتة، وما أن رأته حتَّى ازدادت وتيرة البكاء، فما كان منه إلَّا أن انفجر هو الآخر وأخذ يتكلم بحدة:

رالف: كفانا من هذا العويل، لقد سئمته وسئمتك وسئمت الحياة ككل، أهكذا تستقبلين صديقك بعد يومه المضني وعمله الشاق؟ لقد اكتفيت حقًا.

جيزيل وكانت قد زادت من شدة العويل وحدَّة الصوت: لقد كنت أعلم أنَّ هذه اللحظة آتية لامحالة، فمنذ أنَّ لاحت كاملة الأوصاف «دروليناه» في حياتك حتَّى تبدَّلت وتضاءل اهتمامك بي حتَّى أصبحت هامشًا في حياتك لا يمثل أيَّ قيمة.

رالف بحدَّة: حقًا؟ عن أيّ شيء تتحدثين، أنت تعلمين كما أعلم أنَّ فرصة العمل تلك مع هذا الراتب كانا السبيل الوحيد لتسديد الأقساط وتوفير احتياجات

حياتنا معًا، وتلك السيدة ما هي إلَّا زميلة وربة عمل، وقد أقسمت لك على هذا مرارًا وتَكرارًا، ماذا عساي أنْ أفعل الآن؟ ولكنِّي فهمت، فكما تدَّعين. أنا المشكلة وأنا أيضًا الحل، سأتركك... لتعيشي في أوهامك تلك لعلها تنفعك، لقد انتهينا من هذه العلاقة المميتة، وداعًا «دجيزيل»

جيزيل تصيح: حقًا إنَّك اسم على مسمَّى فما أنت سوى ذئب مخادع تقتل ضحاياك بمكرك وبلا رحمة فلتذهب إلى الجحيم.

خرج «دراف» من الشقة مندفعًا ويشعر أن حملًا ثقيلًا قد سقط من فوق كاهله، وفي الداخل اسودت الدنيا في وجه «دجيزيل» وتوقف عقلها عن التفكير وأظلم تمامًا ثم أضاء على كلمة واحدة «دالموت»، فاندفعت تركض نحو شرفة المنزل المطلة على الشارع وقفزت لتعيد الوديعة إلى صاحبها عساها تجد الراحة أخيرًا.

كان رالف يخطو أولى خطواته خارج المبنى الَّذي كان يسكن به ومازال ينفض عن كتفيه أثقال تلك العلاقة؛ فإذا به يسمع صراخًا يأتي من شرفته بالأعلى فينظر

نحـوه؛ فـإذا بجسـد صديقتـه يهـوي فـوق رأسـه فيرديـه.

فعاش الاكتئاب ومات التمرُّد.

صاحب
الشرم
الحقيقي
مندور
صاحب الشرم الحقيقي
بالبطولات والإنجازات
وليس بالمحسوبية والمجاملات
التسعة أكبر من السبعة
ترندات
وتوباكو

صاحبُ الشَّرم الحقيقيّ

محكمة...

هكذا نادى الحاجب إيذانًا بدخول القاضي ومستشاريه إلى قاعة المحكمة، ثم تقدموا بهدوء نحو المنصة وجلس كلٌ منهم على مقعده ثم قال القاضي:
اتفضلوا. . . بسم الله الرحمن الرحيم... فُتحت الجلسة . . . نادي يا ابني على القضية.

فصاح الحاجب من جديد: قضية ٦/١-٩٧ لسنة ٢٠٢٠ جنوب سيناء، فقال القاضي: المدَّعي الأستاذ مصطفى مندور اتفضل قول مرافعتك.

مصطفى مندور:
بسم الله الحق العدل، بسم الله الَّذي لا تضيع لديه الحقوق ولا تضل.
سيادة القاضي حضرات المستشارين.
على مرِّ السنين تمَّ تزييف التاريخ، حيث كانت المصالح والمطامع تتوافق وتتلاقى وتضيع بينهم الحقوق،

ويُظلَـم أصحـاب الحقـوق وينسـاهم النـاس بعـد أن تذهـب حقوقهـم تلـك ضحيـة الغـش والتضليـل، ونحـن اليـوم سـيّدي الرئيـس، أمـام قضيـة تزييـف مكتملـة الأركان، حقـوق ضاعـت وذاق أصحابها مـرارة الظلم، وقد آن الأوان أن تُـردَّ لهـم تلـك الحقـوق وتَقَـرُّ أعينهـم برؤيـة العـدل.

سـيّدي الرئيـس، الماثـل أمامكـم الآن المستشـار مصطفـى منـدور أصغـر مؤلـف لمـلازم القانـون فـي جمهوريـة مصـر العربيـة، سـليل عائلة منـدور الَّتي تضرب بجذورها فـي جنـوب سـيناء منذ فجـر التاريخ، اليـوم جئت أفضـح تزييفًـا اسـتمر لسـنين، بـل لعقـود ممَّـا سـلب عائلتـي شـرفًا هـم أهـل لـه، ومنـح آخريـن شـرفًا وفخـرًا لا يسـتحقونه، فمنـذ أزمان بعيـدة وقد عكف المسـؤولون الفاسـدون علـى تزييـف تاريـخ إرث أجـدادي ومنحـه لمـن لا يملكـه.

نحـن عائلـة منـدور أول مـن اسـتوطن الخليـج الصغيـر الواقـع فـي جنـوب سـيناء مـا بيـن خليجـيّ السـويس والعقبـة والمسـمَّى حاليًّـا زورًا وبهتانًـا بشـرم الشـيخ.

ونحن من أسماه شرم لأن شرم تعني الخليج الصغير، وكان هذا منذ زمن بعيد، وتشهد على ذلك بطولات أجدادي في هذه المنطقة، ولكن الفساد على مرّ العصور تجاهل دورنا هذا، فقديمًا تجرأ علينا من هُم على غير علم وأسموا مدينتنا «دخشم الكلب» في تطاول غير مسبوق، وتقليل كبير من قدر مدينتنا الحبيبة، وللأسف كان أول من أدرك قيمة مدينتنا كان المحتل الصهيونيّ، الّذي قام في عام ١٩٦٨ بتأسيس مدينة جديدة فوق أرض أجدادي وقاموا بتسميتها «عوفيرا».

وإنْ كنت أشهد أنَّ المحتل الصهيونيّ أول من أسس لمدينة حضارية في هذا المكان، ولكن هذا لا ينفي كونه محتلًا وعدوًا ظالمًا ... «دأظن كلامي واضح».

وبعد نصر أكتوبر المجيد ومعاهدة كامب ديفيد، عادت مدينتنا من جديد لحضن الوطن في أبريل من عام ١٩٨٢، ولكنَّ المتواطئين الفاسدين أصروا على تهميش دور عائلتي في غرس بذرة الحياة في تلك المنطقة، وما لنا من بطولات عديدة بها، ونسبوا

ذلك الاسم الّذي أطلقناه عليها «شرم» إلى عائلة أخرى منافسة تسمّى عائلة الشيخ، ومثبت هنا في الأقراص المدمجة الّتي قمت بوضع نسخة منها في مَضْبَطَةِ محكمتكم الموقرة؛ أنّ عائلة الشيخ تلك لم تكن تملك سوى سبعة بيوت فقط في الشرم، بينما عائلة مندور كان لها تسعة بيوت كاملة موثقة. فكيف للسبعة أن تكون أكبر من التسعة سيدي الرئيس؟!

ولكنْ وجود أحد أبناء عائلة الشيخ تلك في لجنة إصدار القرار في هذا الوقت، قام بليّ القوانين وتزييف المعايير وتمرير إطلاق اسم عائلة الشيخ على الشرم، ولكنّ الحقيقة هي أننا نحن:

أصحاب الشرم الحقيقيون.

ولإثبات حقّنا التاريخيّ في هذا الموضوع قمنا بتعليق لافتاتٍ على أسوار المدينة نعلن فيها:

نحن عائلة مندور

أصحاب الشرم الحقيقيون

بالبطولات والإنجازات وليس بالمحسوبية

و ا لمجا ملا ت .

سيِّدي القاضي نتمنى أن تنظر لقضيتنا بعين الإنصاف وتردُّ الحقوق إلى أهلها بعدما تجرَّعوا الظلم لسنين، وأنْ يكون حكمكم العادل في النهاية بإعادة اللَّقب الضائع إلينا وتسمية الشرم باسم أبطاله الحقيقيين «شرم مندور» نثق في عدالتكم، ولا يضيع حق وراءه مطالب.

هنا فرغ الأستاذ مصطفى مندور من مرافعته العصماء وسط همهمات وذهول الحضور، وكان السؤال السائد هل حقًا السبعة أكبر من التسعة؟! ألستم متأخرين كثيرًا في تلك المطالب بعد عقودٍ على تأسيس شرم الشيخ المصرية أعزائي عائلة مندور؟ هل الصوت العالي واللافتات حقًا تصنع التاريخ والبطولات والألقاب أم أنه يخضع لمعايير دقيقة؟ فلننظر ماذا سيكون حكم المحكمة.

هنا قال القاضي: تُرفع الجلسة للمداولة، وانصرف مع مستشاريه لمناقشة الحكم، وكان الأستاذ مصطفى مندور يقف منتشيًا بنصره الَّذي أوشك على التحقق

يباهي بنفسه أمام الحضور:

أنا صاحب الشرم الحقيقيّ

أظن كلامي واضح

ماحدش يقولي بعد كده شيخ وبطيخ بلاش كلام فارغ

من النهارده اسمها شرم مندور سامعني يا شيخ.

وسط فرحته تلك دخل رجلان إلى قاعة المحكمة في حُلة بيضاء تعلو وجهيهما ابتسامة واسعة وينظران بحب للأستاذ مصطفى وحدَّثه أحدهما بودٍّ قائلًا: يالا يا مصطفي بيه خلاص الجلسة خلصت، كفاية مرافعات يا حبيبي زمايلك المجانين زهقوا من صوتك.

الباش تمرجي زكريا مستنيك في العيادة عشان جلسة الكهربا.

على صعيد
عرفة
ترندات
وتوباكو

عَلَى صَعيدِ عَرَفَة

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ... لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ... إِنَّ الحَمْدَ والنِعْمَةَ لَكَ والمُلْك... لا شَرِيكَ لك

نداءٌ يمتزج فيه الخشوع بالخضوع، والرهبة بالفرحة، الرجاء بالبكاء، قوَى روحانية عظيمة تملأ مخيَّمات عرفات بالنور والسَكينة، ملايين الدعوات تتدفق إلى السماء، ملايين الأيدي المرفوعة والرقاب المشرئبَّة نحو السماء والملايين من الرؤوس الخاضعة في خجل ووجل تتوسل الرحمن وتبتهل طمعًا في عفوه ورضاه، ملايين الألسنة انحلَّت عنها العُقد وراحت تتغنى بالتراتيل والابتهالات حمدًا وتكبيرًا وتعظيمًا وتهليلًا لصاحب الفضل والمِنَّة، وجُوه سَمْحة يعلوها البِشر والفرحة والوجل والخجل والأمل في حضرة الخالق العظيم.

استرقتُ النظر لوجوه يكسوها نور الوقار والقبول، والغبطة تملأ قلبي وعقلي، أتمنَّى القبول الَّذي كنت

على يقين أنَّهم نالوه من قبلي، وبين نظراتٍ هنا وهناك، وقع بصري على مجلس لطيف، يدير دفة النقاش به رجل تبدو على وجهه علامات الصلاح، تلك اللحية الَّتي استطالت وامتزج أبيضها بأسودها حتَّى كاد يكسوه، وتلك البسمة الَّتي علت وجهه وجعلت ملامحه وضَّاءة بنور الإيمان، حسبتهم يتباحثون في أمور الدين كما هي عادة الجلسات في تلك الأيام المباركة والأماكن المقدسة، فقررت الانضمام لهذا الجمع لعلَّه يصيبني ما أصابهم من نور وأتجنب في زمرتهم عذاب الثبور.

فذهبت من فوري أتخطى الرقاب لأكون على مقربة من هذا الرجل الَّذي تكسوه علامات الإيمان؛ لأنهل من علمه وحديثه، وقد كان لي ما خطَّطت وطمحت، فجلست على مقربة منه ووجدته يقول:

والله يا إخواني إنَّ القلب ليدق ويرِق لهذا المشهد المهيب.

تداعب نسمات هذا اليوم على حرِّه العقل والفؤاد، وتغازل تلك المشاهد الجميلة العين؛ فتكاد تدمع من فرط الجمال والجلال.

والله يا إخواني إنِّي لمَّا دخلت المسجد الحرام ورأيت برج الساعة المهيب وتلك المباني الشامخة الفارهة وتلك المآذن العالية الشاهقة الَّتي تخطف اللب والفؤاد منذ دخولك طريق أم القرى، بكت عيناي من جمال المنظر، والله إنَّ لنا أنْ نفخر؛ فتلك هي عمارة البيت الَّتى ذكرها الله عز وجل فى قرآنه الحكيم.

هنا تعالت الحوقلة والبسملة وتساقطت بضع عبرات تأثرًا بحسن حديث هذا الرجل الفصيح، ولكنِّي لَم أستطع أن أقاوم فاستأذنته في التعقيب فسمح لي فقلت:

والله يا أخي إنَّه لَمِن دواعي الفخر ما تمَّ تشييده على مر العصور لبناء ما حول المسجد العتيق، ولا من أحد ينكر كَمَّ البذل من مال وجهد ووقت من العاملين على هذه المشاريع لجعل أم القرى في أبهى حُلة.

ولكنْ يا أخي، أَلَا تتفق معي أنَّ عمارة البيت إنِّما تكون بالصلاة والدعاء والخشوع، وتلك العمارة الَّتي تقصدها قد أنكرها الله على مكة من قبل، فقد قال سبحانه في كتابه:

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (التوبة -٩١)

فحقيقٌ العمارة يا أخي هو الإيمان، ودعني أختلف معك هنا قليلًا.

فإنِّي كنت أتمنى أنْ يدرس العاملين على تطوير تلك المباني ما حول الحرم في شيء مختلف وهو عن صدق ما يحتاجه الحجاج والمعتمرين، فالمرء يقطع المسافات ويبذل الأموال ليأتي هاهنا ويروي ظمأ عينيه بنظرة للبيت العتيق، فنحن المسلمون قلوبنا معلَّقة بالكعبة المكرمة، ولا يشفي سقم تلك القلوب إلَّا مطالعة هذا البيت من دون حجاب، كما أنِّي أرى برج الساعة على عظمته وروعته - في غير محله - فأيقونة مكة والإسلام ككل البيت الحرام ولا غيره علامة ولا راية ترتفع وتعلو.

فكنت أتمنى مع كل تطوير أن ينظر القائمين عليه من منظور ذلك الحاج الفقير الَّذي أتى ليستنير بنور الكعبة وضيائها، فكيف لو أُزيلت تلك المباني من حول الكعبة

وجُعلت من حولها درجات تشبه المسارح الرومانية، ولكنها تكون أكبر، تتيح لجميع زوار البيت الحرام أن يقروا أعينهم برؤيا الكعبة من دون خرسانة أو حجارة تمنعهم، فكِّر معي يا أخي أنَّك وعند وصولك طريق أم القرى أو إبراهيم الخليل تستطيع أن ترى الكعبة المشرَّفة من دون مبان أو مآذن.

تفحَّصني الرجل بشدة وكانت علامات الوقار قد ولَّت وتلك البسمة قد فلَّت، وحل محلهما الضيق والنفور، وبكل فتور وهدوء سألني سؤالًا واحدًا تعقيبًا على كل ما قلته:

انت عايز تهد المآذن؟!

فقلت بكل هدوء:

إنْ كان هدمها سيتيح لجموع المسلمين الاستمتاع ببيتهم العظيم من دون حجاب فلا ضَير بالتأكيد.

فما كان منه إلَّا أنْ قام مندفعًا يبحث عن حذاء وهو يغمغم بصوت عالٍ: بقا عايز تهد مآذن بيت الله الحرام ياد يا كافر يا ابن دين الـ ***

أكاد من فرط الجمال
أذوب...
ترندات
وتوباكو
The Quality Guaranteed
حلال
HALAL food
The Quality Guaranteed

أكادُ مِنْ فَرْطِ الجَمَالِ.. أَذُوبُ

عَلَى السادة الركاب ربط أحزمة الأمان استعدادًا للهبوط.

كلماتٌ لها في النفس مفعول السحر، لِما تحمله من معانٍ ومشاعر متباينة، فقد تعني العودة للوطن والحنين والأهل والأحبة والأصدقاء، وقد تعني عمل ووحدة وغربة ومسؤوليات، وقد تعني مغامرة جديدة وشغف وحضارة جديدة، وتلك هي المعاني الأخيرة الَّتي انطبعت بقلبي عند سماعها في هذه المرة، ولن أذيع سرًا إنَّها كانت المعاني الوحيدة الَّتي اختبرتها وللمرة الأولى في حياتي كافة، فإنَّها المرة الأولى الَّتي تطأ قدماي فيها أرضًا خارج حدود المحروسة، وقد كنت على موعد مع الكثير من المرح والمغامرة، وأيُّ مرح يفوق زيارة أمستردام.

نعم، أمستردام، ليست فقط المباني العتيقة والجميلة والحضارة والقنوات المائية الرائعة وحقول زهور التوليب وطواحين الهواء والطبيعة الخلابة فقط، إنَّما كان أول ما تبادر إلى ذهني تمامًا مثلك صديقي القارئ، منطقة الضوء الأحمر الشهيرة الَّتي تُعد الأكبر في العالم، والأعشاب المخدِّرة المباحة على الملأ وبشكل شرعيّ، صورة استحضر الذهن في تفاصيلها الشيقة مطلع أغنية التهامي الشهيرة «دأكاد من فرط الجمال.. أذوب».

وازدادَ الجمال جمالًا مع احتكاك عجلات الطائرة بالمدرج إعلانًا لهبوطها، بلهفة كبيرة ونظرات زائغة كادت تلتهم ما حولها من نظام وجمال وحضارة استكشفت ورفيقي المطار وعبرنا بسهولة ويسر على غير المتوقع الجوازات، وكأي مصري أصيل يمر بهذه التجربة لأول مرة كان صدري يحدثني أن شيئًا ما سيحدث ولن أعبر، ولكنْ ها نحن نستقل سيارة الأجرة في الطريق إلى الفندق لترك الأمتعة سريعًا وبدء المغامرة.

في الفندق الأنيق الصغير المتاخم لمحطة القطار

الرئيسية بأمستردام، وفي تمام السابعة مساءً، كنت وصديقي محمد نهمُّ بالانطلاق لكتابة أولى سطور المغامرة الجديدة، ولن نستطيع بالطبع كتابة شيء على معدة خاوية، فوجبة الطائرة لا تسمن ولا تغني من جوع، فكانت أولى المحطات أن نبحث عن مطعم «حلال» نشبع فيه نداء البطن أولًا ثم نقوم تباعًا بتلبية رغبات باقي الأعضاء، وباستخدام محركات البحث بحثنا عن مطعم يقدم الأكل الحلال، ووجدنا ضالتنا في مطعم تركيّ يبعد ١٥ دقيقة من المشي عن الفندق، كان اختيارًا مناسبًا يعطينا فرصة أيضًا في استكشاف المدينة وقت الغروب.

سرنا نخترق الشوارع الجميلة على ضفاف القنوات المائية الخلابة والمباني المتنوعة ما بين الحديث والتاريخيّ على الجانبين، وكانت الأضواء بيضاء رائعة، ورويدًا رويدًا احمرَّت الأضواء وتبدَّل الحال من جمال ورقيٍّ وأناقة إلى صخب وزحام، سألت صديقي إنْ كنَّا ما نزال بالطريق الصحيح فأكَّد لي الخبر، ولكنه أضاف أنَّنا الآن نعبر منطقة الضوء الأحمر الشهيرة؛ فخفق قلبي عندما لاحت الفاترينات الزجاجية الشهيرة

بما تحويه من متع وملذات حرام تبهر عيون الزائرين وتغويهم.

اختلط نداء البطن مع إلحاح الجوارح وزاغ البصر والعقل، فهباء راحت محاولات البحث عن المطعم المنشود مع إلحاح الجوارح على الانحراف عن الطريق المفروض، ووسط الأضواء الحمراء والفاترينات الزجاجية البراقة لاح من بعيد ضوء أصفر كُتبت عليه كلمات تأسر اللُّب والعقل والبطن، رأينا وسط جهنم الحمراء الَّتي كنا نسير في طرقاتها مشدوهين لافتة صفراء مكتوب عليها بلغات متعددة أبرزها العربية «مطعم المصريين».

كان للبطن والقلب الغلبة على باقي الجوارح في تلك اللحظة، وبعد نظرة وابتسامة خاطفة متبادلة بيني وبين رفيقي اتجهنا إلى المطعم نحمل الشوق والفرح والحب والحنين، ولا أعلم أي حنين هذا ونحن قد غادرنا مصر فقط صباح اليوم، عجيب أمركم أيُّها المصريون، دخلنا المطعم كأننا ندخل بيت جدتنا بعد طول غياب. أنا: مطعم المصريين، مطعم المصريين، السلام

عليكوا، أزيكوا يا رجاله، مسا مسا على أحلى مطعم في هولندا كلها، إيه الحلاوة دي؟

التف من حولنا العمال في المطعم الَّذين كانت غالبيتهم من المصريين مرحبين ومبتسمين، كان الترحاب على قدر الفرح، أجلسونا على طاولة متواضعة في وسط المطعم، وبعد لحظات أتى للترحيب بنا رجل مصري أصيل رسم الماضي تاريخ مصر كاملًا على خطوط وتجاعيد وجهه، فخفق قلبي لرؤيته ووقفت أستقبله، وكان صديقي محمد إلى جواري يتعجب من فرط تأثري وعاطفيتي الجارفة، ثم خاطبت الرجل:

أنا: أزيك ياعم الحج، إيه الجمال دا، دا أنا ددأكاد من فرط الجمال.. أذوب»

إبراهيم: أهلا بيكم يا باشا شرفتونا، إنتوا أول مرة تشرفونا هنا في أمستردام ولا زرتوها قبل كده؟

أنا: لسه واصلين النهادره، وواقعين من الجوع، كنا بندور على مطعم حلال لغاية ما جينا بالغلط جهنم اللي بره دي، بس رينا كرمنا وشوفنا المحل بتاعك، جينا جري.

إبراهيم: نورتونا.

أنا: وانت بقالك قد إيه هنا يا حج؟

إبراهيم: ياه يعدي العشرين سنة.

أنا: ياه ما شاء الله، على كده بقا المحل دا بتاعك ولا شغال فيه ولا ايجار؟

لاحظت تململ الرجل من أسئلتي وابتسامة رفيقي إلى جواري، ولكنّ الرجل أجاب:

إبراهيم: المحل بتاعي يا باشا نشكر ربنا.

أنا: ياه، ما شاء الله، على كده بقا ينفع المصريين يتملكوا هنا ويبقى عندهم بزنس وكده؟

لم يرد الرجل، بل ازداد توترًا وإحراجًا، ولكنّي أدركت هذا متأخرًا وواصلت حديثي.

أنا: بس معلش يا عم الحج أنا ملاحظ إنك فاتح مطعمك في قلب المواخير اللي بره دي، ما لاقتش حته أنضف من دي تفتح فيها، مش حرام أصلًا نفتح في حي الشياطين دا؟

إبراهيم: معلش يا باشا النصيب.

أنا: بس والله يا حج إحنا وقعنا من السما وانت استلقيتنا، بس إيه اللي هناك دا يا حج، دا بار خمره دا؟ استغفر الله العظيم، مش حرام دا يا عم الحج؟

مش بيع الخمره حرام ولا أنت سألت شيخ ولا معاك فتوى ولا إيه؟

إبراهيم: معلش يا باشا الظروف، إنتوا تؤمرونا بإيه.

كان صديقي إلى جواري يحاول كبت جماح موجات الضحك العاتية، وكان الرجل يتصبب عرقًا من الإحراج، ولم أكن أعلم لماذا كل هذا اللَّغط على الرغم من منطقية أسئلتي، وكانت كثير من الأسئلة مازالت تتبادر إلى ذهني فقلت:

أنا: طيب معلش يا حج سؤال أخير، بكره الجمعه وإحنا لسه واصلين وأغراب، انت بتصلي الجمعه فين بقا عشان نصلي سوا إن شاء الله.

إبراهيم: اسأل يا باشا في الريسبشن بتاع الفندق وهما هيدلوك لأقرب مسجد، تحبوا تاكلوا إيه؟ عندنا كل أنواع الأكل بما فيها المصري طبعًا.

أنا: أوبا أكل مصري، يا حبيبتي يا مصر، بس أكلكم حلال يا باشا طبعًا؟

إبراهيم: يا باشا سيبها على الله كل نعم ربنا حلال.

أنا: وانتوا بتجيبوا الأكل الحلال دا هنا إزاي يا حج؟ سبحان الله، أوعى يا عم الحج تكونوا بتضحكوا علينا وإلَّا ربنا

يخسف بيكم الأرض وتتشووا في نار جهنم.
إبراهيم: يابانشا أؤمر تحب تاكل إيه؟
أنا: خلاص يا حج صلي على النبي، مالك قفشت ليه احنا بنحكي مع بعض، صلي على النبي.

هنا صاح صديقى وهو يطلق العنان لضحكاته العالية:
محمد: يا بني آدم مش شايف صور العذرا والمسيح على الحيطان، وبعدين انت جاي تعمل فيها شيخ هنا انت عمرك ركعتها أصلًا يا رامي؟ خِف عن الراجل بقا انت قرفته خلينا ناكل وما نعذبش الناس أكتر من كده.

أصابت نوبة ضحك عارمة كلَّ من كان يلاحظ الحديث الدائر في المطعم وتحرَّجت كثيرًا وأتى الأكل وأكلت وصديقي، وبعد أنْ فرغنا أتانا صاحب المطعم ثانية؛ ليطمئن إنْ كان الطعام قد لاقى إعجابنا أمْ لا، فأجبته بصدق تام وبدون أي تردد.
أنا: روح يا شيخ الله يقرفك، الأكل زي الزفت، كرهتنا يا شيخ في نعمة ربنا، دا انتوا شوية حرامية ونصابين، يالا يا محمد نفور من المحل النجس دا.

من الترند ماقتل
ترندات وتوباكو

مِن التِّرِنْد مَا قَتَل

أعـدَّ «دمـازن» كـوب القهـوة واتخـذ موقعـه المفضـل على الأريكة ومن أمام التلفاز ليشهد على الهواء أحد أهم وأحدث إنجازاته، ولِمَ لا ننسب له هذا الإنجاز؟ وقد كان دومًا العون والسند والرفيق والشريك الأول لهذا النجاح.

فمنذ الخطوات الأولى لزوجته ورفيقة شبابه وحب حياته «ديُمنى» في مجال العمل الإعلاميّ وتقديم البرامج وكان خير سند ومشجع وداعم لها، كان يشاركها التخطيط والسعي والتنفيذ في كل خطوة وكل مرحلة، حتّى وبعد أنْ أصبحت الآن في مصافّ النخبة والصفوة في تقديم البرامج المعنية بشئون الأنثى، مازال مازن يشاركها التحضير للحلقات واختيار مواضيعها وحتّى الضيوف، ولكنّ هذه المرة مختلفة، فقد آثرت «ديمنى» أن تجعل تفاصيل حلقتها الجديدة بالكامل مفاجأة لزوجها الحبيب، ليتسنى له ولها استكشاف ورصد رد فعل المشاهدين لهذه الحلقة

بدقـة وحياديـة.

وبينمـا كان مـازن يحتسـي قهوته انتهـت الفقرة الإعلانية المملـة الطويلـة الَّتي غالبًا مـا تسـبق مقدمـة البرنامـج، بـل تزاحمـه فـي بعـض الوقـت، ظهـرت زوجتـه الحبيبـة علـى التلفـاز وخفـق قلبـه ككل مـرة يراهـا فيهـا وكأنـه يشـاهدها لأول مـرة، وكانـت تقـف كعادتهـا مبتسـمةً واثقـةً شـامخةً تتحـدث بطلاقـة:

أهـلًا بيكـم فـي حلقـة جديـدة مـن برنامـج «صـوت حـواء»، اللـي اتعودتـوا ديمًـا انـه يكـون الصـوت الحـر والجريء والصريح، واللـي بيعبـر عـن الأنثى المصرية، بـل العربيـة بـل الأنثى فـي العمـوم بـكل صـدق وحـق وبـدون خطـوط حمـرا.

عشـان كـده النهـاردة الحلقـة مختلفـة ومفاجـأة، ومـن نابـع إيماننـا إن الفهـم والتعمـق فـي نفـس الرجـل وأفـكاره وحتَّـى أمراضـه هـو السـبيل لنجـاح الأنثـى فـي فهمـه والتعايـش معـاه، وكمـان تفهـم إزاي تحافـظ علـى حقوقهـا و تاخدهـا، عشـان كـده ضيـف حلقتنـا النهـاردة مختلـف، المفـروض إن نوعـه فـي البطاقـة رجـل، بـس

أعتقد إنه المفروض يوصف كوحش أو شيطان، مش هطول عليكم، ضيفنا النهاردة السفاح حديث البرامج والسوشيال ميديا الأسبوع اللي فات، السفاح اللي انتهك عرض العديد من البنات المصريات الشريفات العفيفات بخسة وقذارة وندالة، نستضيفه النهاردة - غصب عنه - عشان نقدر نغوص فى نفسه المريضه ونعرف منين لإنسان كل هذا الشر، فاصل ونواصل.

خفق قلب مازن بشدة، بل ارتعد من مثل هذه مقابلة، فهو يعلم جيدًا ما أثير حول هذا السفاح المغتصِب الأسبوع الماضي وكيف زلزلت أخباره أركان المجتمع المصريّ بشدة، جلس بترقّب يأكل في أظفاره، ويكاد يقتله الخوف والقلق، وظهرت من جديد زوجته يمنى على مقعد المحاور ومن أمامها بدون فواصل أو حواجب ذلك المجرم السفاح، ممَّا أشعل الخوف في قلب مازن من جديد، واستمع بغير تركيز للحديث ما بين زوجته الَّتي اتسمت بالاستفزاز والاشمئزاز وهذا السفاح الَّذي كان يكسوه هدوء كهدوء الذئاب.

وفجأة بدون مقدمات ينتفض السفاح من مقعده

وينقض كالثور على مقعد زوجته الَّتي أصابها الفزع والذهول، تصرخ طلبًا لنجدةٍ بعيدة المنال، وسط تسمُّر عيني مازن وكل من يتابع ذلك المجرم وهو ينقض على تلك الأنثى الرقيقة بلا حول منها ولا قوة، يحاول نزع ملابسها والتحرش بها، بل واغتصابها، ومع تصاعد المشهد الصادم غير المتوقع ينقطع البث فجأة، ومعه ينقطع النبض عن شرايين وقلب مازن الَّذي كالممسوس انطلق نحو باب المنزل آخذًا مفاتيح بيته وسيارته، ومن الصدمة نسى هاتفه وباب منزله على مصراعيه.

ينطلق نحو سيارته والدموع تنهمر من عينيه خوفًا على زوجته وحبيبته، بل رعبًا، أشعل محرك السيارة وانطلق كالسهم يحاول أن يتحسس طريقة بصعوبة نحو موقع تصوير البرنامج، يضغط دواسة الوقود بكل قوة لعله يستطيع أن يُنجد حبيبته، ويستحضر ذهنه اللحظات الأخيرة الصادمة على التلفاز، وفجأة يتوقف كل شيء وتسودُّ الدنيا أمام عينيه، وتتوقف كل الأصوات، بل تتوقف الحياة.

في موقع التصوير كانت يمنى تقف وسط فريق الإعداد والتصوير الخاص بالبرنامج مبهورةً بنسبة المشاهدة وكمِّ التداول لهذا المقطع والخبر على مواقع التواصل الاجتماعيّ، كانوا يحتفلون بهذا النجاح، فقد كان هذا المقطع كفيلًا بأن «يركبوا الترند» لأسابيع، ويحقق نسب متابعة غير مسبوقة، كانت الفقرة الإعلانية هذه المرة طويلة وطويلة للغاية، وحسب الاتفاق المسبق، كان الإعداد قد اتفق مع السفاح على تمثيل هذا المشهد دون المساس بيمنى مقدمة البرنامج، وكان الغرض من هذا المشهد السخيف بالقطع «ركوب الترند».

بعد لحظات وقبل أن تعود يمنى للبرنامج بعد الفاصل الإعلانيّ، لتحبُك التمثيلية وتحكي عن معاناتها ومقاومتها لهذا السفاح المتوحش وهي تذرف الدموع، حاولت الاتصال بزوجها لطمأنته إلَّا أنَّه لَم يرد، ازداد توترها، إلَّا أنَّها عادت للهواء من جديد وواصلت تمثيليتها السخيفة من جديد ابتغاء مرضاة الترند.

ومن جديد بعد النجاح الباهر، والتمثيل الدراميّ الرائع،

يلتف من حولها المعدّين مهنئين، وبيدها الهاتف تحاول الوصول لمازن دون فائدة، وفجأة يرن الهاتف في يدها فترد بسرعة ولهفة دون أن تتبين من المتصل، فإذا بشخص غريب يحدثها:

ألو.. حضرتك زوجة الأستاذ مازن حسين.

أيوه هو فين؟ فى إيه؟

أنا آسف يا مدام بس جوزك عمل حادثة كبيرة من شوية، وللأسف يا مدام البقاء لله، الله يكون في عونك، ياريت حضرتك تحضري المستشفى حالًا عشان الإجراءات.

بيتزا
ببروني
ترندات
وتوباكو

بِيتزا ببرُونِي

مِصْر

فِي إحدى ساحات الألعاب الصغيرة المجاورة لمحطة القطار بمدينة الزقازيق جلست هبة تطالع أغلى ما وهبها المنَّان، تلك المنحة الإلهية الَّتي أضاءت ظلام حياتها بعد سنوات عجاف امتلأت بالحزن والسعي، بل العدو والكثير من التجارب والتدخلات الطبية، حتَّى شاء القدير بعد طول انتظار وأهداها فريد، طفل جميل الشكل وحسن الخلق، كانت عيناه العسليتان وشعره الذهبيّ المنسدل حتَّى كتفية وملامحه البريئة كفيلة بأن تخطف قلوب من يراه.

ها هو يتم سنواته الخمس الأولى يلعب كما وعدته أمه بتلك الألعاب المبهجة على الرغم من قدمها الشديد وحالتها المهترئة، كانت بسماته تلامس قلب أمه قبل أن ترتسم على شفتيه، وبينما كان يركض من لعبة لأخرى ظهرت من العدم سارة صديقة هبة

القديمة فتبادلا العناق والقبلات والكثير من الأحاديث عن الذكريات، وبعد لحظات انشغال طافت هبة بناظريها الساحة بحثًا عن فريد، ولكنَّ الفراغ قد ابتلعه للمجهول.

هرولت تصرخ باسمه وتبحث عنه دون هدف أو هدى وآلاف الأفكار السوداء تغزو خاطرها ما بين خطف أو تسول أو تجارة رقيق أو حتَّى تجارة أعضاء، ووسط صخب تلك الأفكار ... ضاع فريد.

الولاياتُ المتَّحدة

في إحدى ليالي الصيف دق جرس الباب معلنًا قدوم عامل توصيل البيتزا، فذهبت ساندرا تفتح الباب وفي أعقابها ابنها اللطيف الَّذي تخطَّى حاجز الخمس سنوات ببضعة شهور، ليستقبل البيتزا الببروني الَّتي انتظرها بفارغ الصبر، فتحت الباب المؤدي إلى فراندة صغيرة يحيطها سور وباب خشبيّ كما تتميز بيوت الريف الأمريكيّ، وأخذت البيتزا من ريان عامل توصيل البيتزا بعد أن أعطته ثمنها وهمَّ بالرحيل، وقبل أن يغلق باب

الفراندة من الخارج فوجئ كما فوجئت ساندرا بالطفل الصغير يركض خلف ريان على غير عادته، ليعانقه عناقًا مفاجئًا ودافئًا، لم تنهر ساندرا ولدها أو تمنعه، بل تركته يغوص في هذا العناق، وسط ترحيب وفرحة عارمة من ريان الَّذي شكرهما بشدة وذهب.

بعد ذلك بيومين كانت ساندرا تفرغ محتويات كاميرات المراقبة كالعادة، وفوجئت بمقطع فيديو للحظة العناق اللطيفة، فأحبت أن تشاركها مع أصدقائها عبر وسائل التواصل وكتبت:

لقد كان حادثًا غريبًا ومضحكًا في نفس الوقت، أتمنَّى أنْ يملأ مقطع الفيديو هذا قلوبكم بالدِّفء كما فعل معنا.

وفي غضون ساعات تناقلت الملايين هذا الفيديو اللطيف حتَّى وصل ريان عامل البيتزا، فاستطاع أن يميز حساب والدة الطفل الَّذي نشرت من خلاله المقطع فبعث لها هذه الرسالة:

أشكرك على مشاركة هذا المقطع اللطيف وكلماتك الودودة، في الحقيقة لقد أمدني هذا العناق المفاجئ

بطاقة كنت بحاجة إليها وجعلني أقبل على الحياة من جديد، فقد كنت أعاني من حالة اكتئاب شديدة كادت تودي بحياتي، فقد كنت على شفير الانتحار بعد أن وافت ابنتي الوحيدة ذات الستة عشر عامًا المنيَّة بعد صراع مرير مع مرض نادر، كنت غارقًا في حزني وأتمنى ولو لحظة عناق واحدة مع ابنتي الفقيدة، حتَّى أتى عناق ابنك اللطيف فأطفأ نار قلبي وأنبت بذور الأمل والحب من جديد. شكرًا لك ولابنك.

حركت رسالة ريان المفاجئة مشاعر ساندرا، وعلى الرغم من أنَّ جزءًا ما في أعماق قلبها كان على يقين أنَّ هذا العناق لم يكن عبثيًّا أو محض صدفة، لكنَّها لَمْ تتخيل ما وراء هذا العناق من مشاعر، فقررت بعد أن استأذنت ريان أن تنشر كافة التفاصيل على صفحتها، وذكرت صفحة ريان وعزّته على فقيدته، ليتناقل الملايين هذا المنشور من جديد وتتهافت برقيات التعزية على حساب ريان لتملأ وحدته وتداوي جراحه، بل إن الأمر تطور لجمع تبرعات تساعده في حياته ممَّا ساق إليه ملايين الدولارات بدون حول منه ولا قوة.

مِصْر

بعد سنة من البحث في كافة المستشفيات وأقسام الشرطة في الشرقية وخارجها وملايين المنشورات والتوسلات للمساعدة على إيجاد فريد وردّه لحضن أمه، قررت هبة وزوجها البحث في ملاجئ إيواء الأطفال، وفي إحدى المراكز الحديثة في القاهرة، كانت سيدة أربعينية لطيفة في استقبال هبة وزوجها اللّذان كانت تكسوهما علامات الحزن والإعياء، فآثرت السيدة أن تواسيهما قليلًا قبل دخول الأطفال نزلاء الملجأ لعل أحدهم فريد فقالت لهم:

ماتيأسوش أبدًا، إن شاء الله ربنا هيردهلكم ويقرعنيكم بيه. أنا فضلت كتير بحلم إني اساعد كل طفل تايه وكان الحلم بعيد جدًا لحد ما ربنا كرمني بمنحة من أمريكا جت من منظمة لرعاية المفقودين، المنحة دي من فلوس اتبرع بيها عامل توصيل بيتزا اسمه ريان لمنظمة رعاية المفقودين.

وقصت عليهما قصة ريان والعناق الشهير، وأثناء اختتامها للقصة دخل الأطفال واحدًا تلو الآخر وكان ثالث من دخل بدر منير كسره الحزن والفقد، طفل

ساقته قدماه أثناء لهوه وركضه لقطار حمله للقاهرة لتبتلعه، قبل أن ينقذه أحد العاملين بهذا الملجأ من براثن المجهول، لقد كان فريدًا.

طالبان
ترندات
وتوباكو

طَالِبان

١٩٩٠

في أحد أيام شهر أغسطس شديدة الحرارة، وفي تمام الواحدة ظهرًا رن هاتف المنزل بصوته الصاخب وعلى غير العادة في مثل هذا الوقت من اليوم كان الحاج سعيد في المنزل يتلّوى وزوجته على جمر القلق والتوتر، فهو يدرك جيدًا كيف وصل حال زوجته من إنهاك بالغ وأرق وصل حد المرض من همٍّ الانتظار والخوف، قام الحاج سعيد ليرفع سماعة الهاتف ليجد في الطرف الآخر صوت رخيم يتحدث:

مساء الخير، دا منزل الطالب محمود سعيد إبراهيم؟

مساء النور أيوه يا افندم أنا والده.

ألف مبروك يا حاج سعيد، أنا وزير التربية والتعليم، ابنك محمود من أوائل الثانوية العامة بمجموع ٣٩٪ ألف مبروك.

وكأن الزمن توقف عند هذه اللحظة من فرط البهجة،

فقد كان يوم الحصاد، حصاد جهود استدامت أعوامًا من الكد والجهد وها هي تكلل اليوم بنجاح ليس كمثله نجاح، انطلقت أم محمود في الزغاريد وسجد الحاج سعيد لله شكرًا وفرحًا، واجتمع الجيران يهنئون مبتهجين.

انطلق محمود كالسهم يتسلّق السلم المؤدي للطابق الأخير حيث يسكن صديق عمره وزميله حسين، اقتحم محمود غرفة حسين دون استئذان كما كانت عادته منذ سنين والفرحة تغمره والفخر يكسو ملامحه، ليجد حسين على سريره جالسًا وضع القرفصاء دافنًا رأسه بين ركبتيه ومن جواره أمه تحاول أن تواسيه دون أن تستطيع أن تمسك لجام أنهار من دموع سالت من عينيها، فتسمَّر محمود في مكانه وقبل أن يتساءل عمَّا حدث سبقته أم حسين:

مبروك يا محمود انا سامعه الزغاريد من عندكوا يا حبيبي

الله يبارك في حضرتك يا طنط، ماله حسين؟

انت جبت كام يا محمود؟

انا طلعت من العشرة الأوائل الحمد لله يا طنط

وجبت ٣٩٪ والوزير لسه مكلم بابا.

ألف مبروك يا حبيبي، ما حسين كمان طلع بردو من الأوائل وأبوه لسه جايب النتيجة من الكنترول ومبلغنا.

بجد يا طنط أومال ليه زعلان؟

أيوه يا حبيبي من الأوائل أومال إيه؟ بس من ورا جاب ٢٥٪، الحمد لله على كل حال.

١٩٩٦

كعادته أتمَّ محمود دراسته في كلية الهندسة بتفوق باهر، فقد كانت حرفته الحفظ والمذاكرة، كان دومًا في مقدمة زملائه وهيأ نفسه ليكون أحد أعضاء طاقم التدريس عند تخرجه، ومن غيره يستحق مثل هذا الشرف وهو الوحيد من دفعته الَّذي كان من أوائل الثانوية العامة، ولكنْ كما هي العادة أخذت مكانه بنت أحد الأساتذة في الكلية، هاج وماج وذهب للشرطة والقضاء والأضرحة والموالد طلبًا لحقه دون مجيب، حاول في السنة التالية من التخرج تجاوز الصدمة والعمل كأي خريج ولكنَّ عزة نفسه منعته من التأقلم، ولم يجد ملجأً لهمومه إلَّا في المسجد، لعل الله يجد

لـه حـلًّا مـن عليائه.

ولكـنْ فـي هـذا الوقـت لَـمْ تكـن تخلـو بعـض المسـاجد ممَّـن يبثـون سـمومهم في عقول الشـباب تحت شـعار الجهـاد، فاسـتهوت الفكـرة قلب محمـود المحطم، وفي ذات العـام كانـت حركـة طالبـان قـد فرضـت سـيطرتها علـى أفغانسـتان معلنـة أيّاهـا دولـة خلافـة إسـلاميَّة، وكان نجـم تنظيـم القاعـدة الجهـاديّ بـدأ فـي البـزوغ فـي ذات الوقـت مروجًـا أنَّـه تنظيـم الجهـاد ونصـرة الإسـلام، مـلأت تلـك الأفـكار قلـب وعقـل محمـود بعـد أنْ كانـا خاويـيـن مكسـورين ممَّـا شـعر بـه مـن ظلـم وقهـر، فلملـم ملابسـه وسـرق بضعـة آلاف مـن الجنيهات من دولاب أمـه، وبمسـاعدة أحـد رفقائه الجـدد في المسـجد هـرب إلـى أفغانسـتان ليتـرك أبويه فريسـة للحـزن والقهر والمـرض.

قبـل ذلـك بعامـيـن كان حسـين قـد تخـرج بتقديـر مقبـول مـن كليـة الحقـوق، وبعـد أن تعـرف علـى فتـاة أمريكيـة مـن خـلال أحـد برامـج المراسـلة الَّتي انتشـرت حديثًـا فـي ذلـك الوقـت، ومـن حصـاد عمله فـي الإجـازات السـنوية،

استقبل دعوة زيارة من تلك الفتاة وشق طريقه للولايات المتحدة الأمريكية، ليتزوج الفتاة وتجنَّس بالجنسيَّة الأمريكيَّة ووجد ضالته في العمل بالشرطة الأمريكيَّة ومنها إلى الإف بي آي.

٢٠٢١

في أحد أيام شهر أغسطس شديدة الحرارة، وفي إحدى الكهوف المجهولة بقندهار في أفغانستان، رن الهاتف الجوال المربوط على الأقمار الصناعية رنة غير معهودة، وعلى الشاشة ظهر أن المتصل مجهول فضغط زر الإجابة بتردد وقال:

سلام

محمود إزيك؟ عاش من سمع صوتك يا راجل، والله واحشني.

مين معايا؟

يخونك العيش والملح يا راجل؟ حبيبك الأول من ورا.

حسين؟ انت بتتكلم منين ووصلت لي إزاي؟

يا حبيبي انت نار على علم، سُمعتك واصلة أوي هنا، يا ابني دا انت من أوائل الإرهابيين في العالم دلوقتي،

يخرب عقلك يا محمود منين تكون لازم تكون من الأوائل، تعرف إنهم اختاروني للمكان دا بالذات عشان اقدر اتواصل معاك وأكلمك.

إرهابيين إيه ياعم انت بتلبسني؟ مكان إيه اللي بتكلمني منه؟ انت متصل تشتغلني؟

يا معلم انت كده كدا لابس، أنا فى أمريكا وبشتغل فى جهاز حساس جدًا، ومسؤول عن التواصل مع العملاء في العالم الإسلامي، وطبعًا هما هنا متابعينك من فترة طويلة وعارفين انك في قمة هرم التنظيم بتاعكم دلوقتي وعلى علاقة وطيدة بطالبان.

ما شاء الله، دا أنا كده وصلت بجد، بس أومال فين «دمارك» اللي كان بيتواصل معايا قبلك؟

أنا مسكت مكانه، وما تتخيلش يا معلم فرحت قد إيه لما عرفت إننا هنرجع نتكلم تاني ونشتغل كمان.

يا راجل؟ مش مصدق بجد إني بسمع صوتك بعد السنين دي كلها.

وكمان يا معلم أحب أبلغك خبر هيفرحك واعتبره عربون صداقة جديدة، إحنا قررنا إن أصدقاءك في طالبان يرجعوا لحكم أفغانستان من جديد، ألف مبروك.

لا كاسا
دي وائل
ترندات
وتوباكو

لَا كاسا دي وائل

البروفسير سيِّد

تسرَّبتْ بِضْع كلمات تحمل نبرةً حادةً إلى أذن «سيد» الَّذي كان يغطُّ في نوبة نوم عميقة، كان يتعافى بها من سهرة الأمس الَّتي استنزفت قواه فضلًا عن أمواله بالكامل، أو بالأحرى تلك النقود الَّتي يأخذها عَنوة من زوجته الَّتي أرغمتها ظروف الحياة وقلة حيلة زوجها «سيد» على العمل في البيوت لتوفير قوت بيتها.

قطع سيد حبل أحلامه الجميلة الَّتي تذخر بالأموال الطائلة والسيارات الفارهة والسيدات الكثيرات. نعم، لم يكن سيد ليهتم بمستوى الجمال، كان أكثر ما يعنيه الوفرة، قام متثاقلًا من سريره متجهًا إلى الصالة ليرى ماذا أعدت له زوجته من طعام يعينه على قضاء يومٍ جديدٍ، بل ليلة جديدة، ولمَّا فتح باب غرفته المطلة على الصالة وجد زوجته منفعلة وتتكلم بحدَّة مع إحدى صديقاتها عبر الهاتف وتغلِّظ الأيَمان

أنَّها لن تذهب لسيدة ما مرة أخرى.

فلمَّا فرغت من مكالمتها توجه لها بالحديث:
مالك يا وليه، عالمه ازعرينا عالصبح ليه؟
صبح؟ صبح إيه يا أبو صبح؟ دي العِشا ادنت يا مدهول، ما هو أنا لو متجوزة راجل زى بقية الرجالة ماكنش ربنا حوجني للمرمطة وقلة القيمة والهم دا، إنَّما اعمل إيه في حظي الأسود، متجوزه دكر بط، لا بيهش ولا ينش، عمال يحش ويعض وخلاص، اسم الله عليك يا خويا، ما خدناش منك غير الزعيق والقنعرة الكدابة، قال إيه البروفسير راح البروفسير جه، روح يا شيخ إلهي تتوكس.
جرى إيه يا وليه يا امو لسان زي المبرد انتي؟ ما تتلمي عالمسا بدل ما المك.

مَرْكَز الدُّكتور وائِل

ولمَّا وجدها استكانت في أحد المقاعد وسلَّمت رأسها ليديها وستبدأ في نوبة جديدة من البكاء والنحيب الَّذي قد يمتد لساعات، وكان يعلم أنَّها تريد أن تبوح

بما في صدرها، ولكنَّها تنتظر إلحاحه كي تفتح خزينة أسرارها، فاقترب منها واحتضنها بهدوء وسألها.

مالك بس يا جميل زعلان ليه؟ احنا نقدر نعيش وانت زعلان كده؟

غور كده وابعد عني، أنا مش ناقصة كفاية اللى حصلى النهاردة بسببك.

إيه بس اللي حصلك يا بكبوظة قلبي انتي؟

الست الزفته اللي اسمها شهيطاز دي اللي بروح انظف شقتها، لطعتني في الشقة اربع ساعات، قافله عليا من بره، ولما رجعت ادتني ٢٠٠ جنيه عُمْي، ومارضيتش تزود ولا مليم، بتشيل شعرها عند الدكتور ب ٢١ الف جنيه ومش هاين عليها تعوضني عن التأخير والعَطَلة، منها لله، حسبي الله ونعم الوكيل.

شعر ايه اللي تشيله يا وليه؟ وب ٢١ ألف جنيه؟ ليه هي هتقرع ولا إيه؟

يا اخويا اتلهي انت كمان، ما أنت لا بتفهم ولا بتحس، دا اللي همك، بتشيل يا اخويا شعر دراعتها بالليزر عند الدكتور اللي فتح جديد جنبهم.

هار اسوح ٢١ ألف جنيه عشان شعر دراعتها؟

أه يا اخويا ومستخسرة فيا ١٠٠ جنيه زيادة، منها لله.

هنا انتبه لها سيد بكل حواسه وأخذ يسألها عن كافّة تفاصيل عملية التجميل تلك ومكانها وتكلفتها وكل شيء قد تكون عرفته من السيدة صاحبة المنزل، ولمَّا عرف منها كل شيء تركها ونحيبها وذهب إلى الحمَّام ليقضي حاجته ويفكر.

سَنْدُوب وبَهْتِيم

بعدَ ساعة كان البروفيسور سيد على المقهى يجتمع بأصدقائه المقرَّبين بعد أن دعاهم لجلسة عمل هامة لا تحتمل التأخير، ولمَّا التأم الجمع وهدأت المقهى، كان أصدقاؤه يستمعون إليه باهتمام دون أنْ يقاطعوه فبادرهم بالحديث:

بصوا يا رجالة، احنا عندنا طالعة هتنقلنا نقلة تانية، طالعة من اللي بتحصل مرة في العمر، أنا وقعت على عيادة أو مركز تجميل من الحاجات الهاي قوي، اللي الواحدة من دول بتدخله سنيه العامشة عبد

المنعم تطلع نانسي عجرم، وأقل واحده بتدفعلها ١٠ تلاف جنيه في الدخله للعيادة دي، الوليه اللي مراتي بتشتغل معاها راحت النهاردة هناك واتأخرت أربع ساعات عشان قدمها ٥ ستات تانيين، وكعّت ٢١ ألف جنيه، يعني لو العيادة دي بيدخلها ٥٠ واحده في اليوم بالميّت آخر اليوم هيكون فيه نص مليون جنيه. العيادة دي اسمها مركز الدكتور وائل عيسى للتجميل.

هنا وجه كلامه لأحد الجالسين: «دسندوب» انت هتراقب العيادة دي بكره وبعده، وتشوف الدكتور وائل دا بيروح إمتى وبيخرج إمتى؟ والممرضات كمان ونجتمع هنا تالت يوم ونتفق على الميعاد والخطة.

تهلّل وجه الجالسين فرحًا لمَّا سمعوا الغنيمة المرجوة، وبعد جلستهم المعتادة تفرقوا على وعد بلقاء جديد للتخطيط للعملية.

العملية لاكاسا دي وائل

وبعد يومين اجتمعوا على ذات الطاولة من جديد

وتكلّـم السـيد:

إحنـا دلوقتـي عرفنـا مواعيـد العيـادة، الممرضـات بتنـزل السـاعة ٢ بالليـل وبعدهـم بنـص سـاعة بينـزل الدكتـور وواحـده غالبًـا دي الكاشـير، وبينزلـوا بشـنط خفيفـة صعـب يكونـوا بيحطـوا فيهـا الفلـوس.

إحنـا بكـرة السـاعه اتنيـن وخمسـة بالليـل بعـد مـا الممرضـات تمشـي هنهجـم عالعيـادة، أنـا وبهتيـم هناخـد المقروطـة والفـرد ونطلـع يكـون الدكتور والسـت لوحدهـم، وهلبـس ماسـكات زي بتاعـت لا كاسـا دي بابـل، نقلبهـم ونكتفهـم فـوق وناخـد إيـراد اليـوم وننـزل ويكـون سـندوب مسـتني فـي عربيتـه تحـت، ناخدهـا ونكـت.

صاح سـندوب: الله عليـك وعلـى خططـك يـا بروفسـير يـا عالمـي، وهنسـمي العمليـة دي لا كاسـا دي وائـل.

بينمـا قـال بهتيـم: بـس مش حرام يـا بروف ناخـد فلوس العـلاج بتاعت نـاس عيّانه.

فنظـر سـيد إليـه شـذرًا وقـال: واللـه يـا بهتيـم انـت اكتـر واحـد لايـق عليـك اسـمك بـس بصراحـة التـاء اللـي فـي النـص دي زيـادة.

نظر له بهتيم وعلى وجهه ابتسامة بلهاء توحي أنَّه لم يفهم المقصود من كلام سيد، وقد كان سيد يحب تسمية أصدقائه نسبة إلى مدنهم الأصليَّة ومِن هنا أتت تسمية بهتيم وسندوب.

فَجْرُ يَوْمِ العَمَلِيَّةِ

وفي الوقت المحدد انطلق سيد وبهتيم على السُّلَّم المؤدي إلى الطابق الثالث في إحدى العمارات الإدارية الجديدة الفاخرة الخالية تمامًا من السكان، وقرعا باب العيادة المنشودة، وابتعدا عن مرمى العين السحرية، ولمَّا فتحت السيدة الباب لترى من بالخارج لعلَّه أحد زملائها قد نسي شيئًا من أغراضه، اقتحما العيادة بالقوة وأغلقا من ورائهما الباب، وهدَّدا السيدة إنْ صرخت سيقتلونها على الفور، وأخذا منها الهاتف ولمَّا خرج الدكتور وائل من مكتبه بادراه بالمثل.

والآن أتت اللحظة المنشودة، الدكتور وائل ومساعدته مقيدان أرضًا يرتعدان وفوهات المسدسات موجهة إلى أجسادهما والسيد فوق رأسهما يسأل: فين

الفلـوس؟

فأجابـه وائـل بخـوف: فلـوس ايـه يـا أخينـا اسـتهدى باللـه ومـا توديـش نفسـك فـي داهيـة وهديك اللي انـت عايزه.

فانفعـل سـيد: داهيـة إيـه؟ الداهيـة دي اللـي هتروحهـا لـو فرغـت فيـك المقروطـة دي، أنـا عايـز الفلـوس اللـي فـي العيـادة.

فقال وائـل: أنـا معايـا ٥٠٠ جنيـه جـوا فـي المحفظـة دي كل الفكة اللي معايا خدهـم.

فصقّـد سـيد مـن نبرتـه وتهديـده: ٥٠٠ ايـه يـا روح امـك، أنـا عايـز إيـراد العيـادة، الفلـوس اللـي انـت بتهلّبهـا مـن النـاس طـول اليـوم.

هنـا أجابـت السـيدة: إيـراد إيـه يـا أخينـا؟ الدفـع عندنـا فيـزا بـس، حسـابات العيـادة مميكنـة بالكامـل.

فاندهـش بهتيـم وقـال بانفعـال: فيـن الفلـوس يـا بروفسـير؟ إيـه الميكنـة دي؟

السيد مِنج
مُدمن نجاح
ترندات وتوباكو

السَّيد منج؛ مُدْمِنُ نجَاح

جلس «دشاو لي منج» على عرشه العتيد، الَّذي بناه لَبِنة فوق لَبِنة عَبْر رحلة من الكفاح المجيد، جلس بعد عناء يوم شاق لينفض عن كتفيه القليل من إرهاق هذا اليوم ببعض الراحة، ولكنَّه لا يدري كيف تفتح هذه الحالة النوافذ على الماضي.

وكانت تلك النوافذ في هذه المرة عابرة للأزمان والأماكن، فسافرت به عبر رحلة كفاحه الطويلة، فتشخصَت أمام عينيه لحظات وأحداث كانت الأيام قد طَوت صفحتها، فها هو يرى نفسه بعد أن أتمَّ دراسته في المدرسة الثانوية، يُلاقي الرفض من جامعة تلو الأخرى ولَمْ يحظ ولو بفرصةٍ لإثبات جدارته بمنحة دراسية من هنا أو هناك.

ثم رأى نفسه في بدايات مشواره يصارع اليأس والفشل، ويخطو خطوة جديدة مصحوبة بحلم جديد بعيد المنال، فحينما تبين له أن مواهبه وقدراته

المتعددة قد استهان بها أهل بلده، فسطع الحلم الأمريكيّ في خياله، وراح يتخيل نفسه يبني إمبراطوريته الاقتصاديّة الخاصة في الولايات المتحدة الأمريكيّة، مركز الاستثمار ونبوغ المواهب الدفينة على شاكلته، فجهّز أوراق الهجرة وأجرى أُولى مقابلاته في السفارة الأمريكية وكانت الأحلام تكبر وتقترب، ولكنّها تحطمت من جديد على صخور الرفض، فرفض الاستسلام وصارع من أجل حلمه من جديد، وقدّم ثانية على طلب الهجرة فرُفض، فتبعتها الثالثة حتّى وصلت محاولاته ومقابلاته ما يفوق الخمسين مرة على مدار سنين دون أيّة مبالغة، حتّى إنّه صار نارًا على عَلَم في السفارة ومحيطها، وكان الرفض المتكرر هو الصخرة الّتي تحطمت عليها موجات هذا الحلم بالكليّة.

وما إنْ خَفَتَ نور الحلم الأمريكيّ حتّى سطع نور الحلم الكنديّ، فما من شاب إلّا وداعبته أحلام الهجرة والبداية الجديدة والزواج من أجنبية جميلة شابة كانت أو مسّنة، المهم أنّها تختلف عن بني جلدته في الشكل واللون والطباع، وربّما تيسر له فرصة لكسب بعض؛ بل الكثير من المال، ونحو السفارة الكندية شدّ الرحال،

ومـا أن دخلهـا أول مـرة إلَّا وخـرج منهـا خالـي الوفـاض ككل مـرة، وكمـا عهدنـاه السـيد منـج عنيـد يملـك إصـرارًا مـن حديـد، تكـررت محاولاتـه فـي السـفارة الكنديـة حتَّى وصلـت مـن المـرات الثلاثيـن، وكانـت النتيجـة تمامًـا كتجربتـه السـابقة فخـرج منهـا صَفِـر اليديـن.

هنـا أدرك الرجـل أنَّـه لا يبحـث فـي المـكان الصحيـح، وإنْ ضـنَّ أهـل الغـرب عليـه فبالتأكيـد بلـده بـه أولـى، فجلس يراجـع نفسـه وخططـه، فبعـد أنْ وصـل مـن العمـر الثلاثيـن، وكانـت محصلتـه مـن حياتـه فشـلٌ يضـاف إلـى آخـر، قـرَّر أنْ يغيـر مسـاره ويحولـه، فهـداه فكـره إلـى العسـكرية، ولِـمَ لا؟ وهـو مـا زال شـابًّا فتيًّـا، سـيجد فـي العسـكرية غايتـه بالتأكيـد وسـتجد فيـه العسـكرية النجاح الأكيـد.

حـزم أمتعتـه وراح يطـرق الأبـواب، أكاديميـة الشـرطة، المدرسـة الحربيـة، مدرسـة الطيـران، المدرسـة البحريـة، بـاب تلـو الآخـر، وكانـت النتيجـة فـي النهايـة واحـدة، لا تختلـف عـن سـابقتها.

خدعة
العملاء
ترندات
وتوباكو

خُدْعَةُ العُمَلَاء

أتى صوت الهاتف من أعماق جُبّ سحيق، وكان صداه اللّحوح يتردد في أرجاء ذلك القصر الفخم الّذي يسكنه أمين، وكأنّه يصّر أن يقطع عليه استمتاعه بذلك السيجار الكوبيّ الفخم الّذي بدأ للتوّ في سحب أُولى أنفاسه، وبعدما تواصل إلحاح الهاتف اللعين، نظر أمين بتململ إلى أولئك الحسناوات من حوله واللّاتي يعملنَ على خدمته وتلبية حاجياته، كانت نظرة مضطر، أرغمته الظروف على الوداع، فمد يده اليمنى على استقامتها يبحث عن ذلك الهاتف اللعين على الكومود الّذي يجاور سريره العتيق، بعد أن قطع عليه واحدًا من أجمل أحلامه، نظر للهاتف بين الصحو والنوم وهو يحاول أن يفيق من غفوته وأحلامه فإذا به رقم مجهول، فتح الخط وقال بصوت متحشرج:

> ألو

>> مساء الخير يا فندم، مع حضرتك محمد سعيد خدمة عملاء البنك المركزي.

> إيه؟؟؟

>> البنك المركزي يا فندم.. خدمة العملاء.

> بنك إيه اللي عايزني؟ برا عني أنا الحوارات دي؟

>> حوارات إيه يا فندم؟ مفيش مع حضرتك فيزا كارت؟

> فيزة إيه ياعم؟ بقولك سوليطي موليطي؟ على الله يا دولى، ولو جالى حسنه بكمرها تحت البلاطة.

>> كلنا على الله يا هندسة، وحلو بردو موضوع البلاطة دا، البنوك دلوقتي كلها حوارات وهسس.

> أيوه سمعت أنا الحوار دا، البنوك فيها حوارات مش تمام، بيقولك نصبوا على بنك الكريكول دا، صح بنك الكريكول؟

>> يا باشا هما بينصبوا على كل البنوك.

> وانت متصل بيا عشان تنصب عليا؟

>> حاولت بس فشلت!

> انت يعني من النصابين اللي بيشتغلوا الناس؟

>> أيووووه.

> يا لعييب، وانت يعني جاي مع واحد واقع، على باب الله مش لاقي اللَّضَا.

>> يا عم لو محتاج أحولك ولا يهمك.

> لا يا اسطى انت لو محتاج ٠١ جنيه ولا ٠٢ جنيه أحولك يا

اسطى عادي، بس أقولك بلاش تنصب على الناس، ولا أقولك الناس اللي معاها فلوس ومريشة انصب عليها عادي، بس اللي تكسبه طلّع نصه لله عشان ربنا يباركلك.

>> حلو بردو.

> ماشى يا اسطى، الله يباركلك، اسمك ايه بقا؟

>> محمد سعيد

> لا الحقيقي بقا.

>> شريف نزيه

> ماشي يا اسطى ولو احتاجت أي حاجه كلمني، وانا هشوف ناس بردو ابعتهالك ونصص سوا.

>> الله عليك يا كبير، عليّ النعمة انت فوق العظمة.

أغلق الخط ولكنه فتح من ورائه ألف خط وخط، يرسمون خطة مكتملة التفاصيل، الخطة الّتي ستضع نهاية لحالة الفقر والضنك الّتي يعاني منها لسنين، وما أن اختمرت تلك الخطة في دماغ أمين حتّى أمسك بهاتف المنزل لكي يبدو رقم الاتصال أكثر مصداقية، وهداه تفكيره أنّ الأرقام المنمّقة الرنانة لابد أنّ أصحابها كذلك منمقون وجيوبهم حُبلى بالكروت

والأموال، فضرب الرقم الّذي أهداه له القدر وراح يراجع في ذهنه ألف مرة أثناء الرنين السيناريو الدقيق الّذي يشبه إلى حد كبير سيناريو شريف، إلى أن أتاه من الطرف الآخر صوت رخيم تبدو عليه كل علامات الثراء الفاحش.

>> ألو

> مساء الخير يا فندم، مع حضرتك محمد سعيد خدمة عملاء البنك المركزي.

>> والله

> أيوه يا فندم، حضرتك معاك فيزا كارت.

>> أيوه طبعا تحب أمليك رقمها.

> يا ريت يا فندم الرقم بالكامل والاسم وتاريخ الانتهاء والرقم اللي بيبقى في الظهر.

>> طبعا يا حبيبي الاسم: عادل العشماوي؛ لواء بإدارة المباحث العامة، وبالنسبة لرقم الفيزا والرقم اللي في الظهر خليك يا حبيبي في البيت زي ما انت أنا جايلك أنا والرجالة لحد عندك أديك الفيزا بنفسي.

كريسماس
في حتا
ترندات
وتوباكو

كرِيسمَاس فِي حتا*

«أعزاءنا المسافرين لقد هبطت الطائرة بسلام في مطار دبي الدوليّ، حيث تبلغ درجة الحرارة بالخارج ٢٢ مئوية وتشير الساعة بالتوقيت المحليّ إلى العاشرة مساءً، يُرجى إبقاء أحزمة المقاعد مربوطة حتّى انطفاء إشارة ربط الأحزمة، ويُرجى التأكد من اصطحاب جميع أمتعتكم الشخصية قبيل المغادرة، ونتمنى لكم إقامة طيبة في دبي.»

تلك الكلمات الّتي أطلقها قائد الطائرة والّتي طالما دغدغت مشاعري مرارًا وتكرارًا بذلك الحلم بعيد المنال، ففي كل رحلة من رحلاتي المتعددة أعبُر فيها دبي يراودني ذلك الحلم بلا فرصة واحدة سانحة لتحقيقه، وها أنا ذا أختتم رحلاتي المتكررة إلى إندونيسيا محل ابتعاثي كمدرس لغة عربية في إحدى القرى النائية هناك، وجرت العادة خلال سفراتي السابقة أنْ أمُرَّ كمسافر ترانزيت عبر دبي، ولكنْ لم يكن أبدًا الوقت ولا الظروف في صالحي لكي أحظى ولو بزيارة خاطفة

لتلـك المدينـة السـاحرة.

وهـا قـد أتـت الفرصـة أخيـرًا علـى طبـق مـن ألمـاس، فهـذه المـرة أتـت رحلتـي الأخيـرة إلـى إندونيسـيا فـي نهايـة العـام، ليـس مجـازًا ولا تقريبًـا بـل كانـت فـي يـوم ١٣ ديسـمبر، وأهدانـي القـدر أربـع سـاعات مـن الترانزيـت فـي دبـي، والهديـة الأجمـل أن طائرتـي سـتصل دبـي فـي تمـام العاشـرة مسـاءً، بينمـا سـتقلع الطائـرة المتجهـة إلـى إندونيسـيا فـي السـاعة الثانيـة مـن صبـاح اليـوم التالـي الأول مـن ينايـر، ممَّـا هيـأ لـيَ الفرصـة لمتابعـة العـروض المبهـرة لبدايـة العـام فـي دبـي، فجهَّـزت أوراق الزيـارة اللازمـة وعقـدت النيـة علـى قضـاء تلـك الليلـة فـي دبـي مركـز بهجـة العالـم ومهـد إبهـاره، فقـد حـان الوقـت للتخلـص مـن متابعـة تلـك الاحتفـالات مـن وراء التلفـاز بعـد أن اعتزلـت منـذ زمـن البرامـج الَّتـي تُعـرض فـي تلـك الليلـة وتسـتضيف الراقصـات وبضعـة منجِّميـن يملـؤون شاشـات التلفـاز بالهـراء.

لـم تكـنْ رحلتـي القصيـرة فـي مطـار دبـي من بـاب الطائرة إلـى بوابـة الخـروج مبهـرة فحسـب بمـا يحملـه المطـار

الفخم من هندسة معمارية راقية ونظام وسلاسة، بل حملت في طيَّاتها أنباء عمَّا قد تحمله الساعات القادمة من إبهار واستمتاع، خرجت من البوابة المخصصة للمواصلات الأرضية وسيارات الأجرة، لأجد مئات السيارات في انتظار الركاب بنظام دقيق، قادني أحد المشرفين للسيارة الَّتي ستقلُّني إلى داخل دبي، وكنت أعلم مسبقًا أن الشوارع في هذه الليلة غالبًا ما تكون مزدحمة للغاية؛ لذا بحثت وقرأت لأعلم أن واحدة من أجمل المناطق في دبي لمشاهدة العروض هو الشاطئ (hcaeB ehT)، فقررت الذهاب إلى هناك، ولكن كان ما يقلقني هي لغتي الإنجليزية الضعيفة الَّتي لا أظن أنَّها قد تُسعفني.

استقبلني في سيارة الأجرة سائق ودود استشفَّيت مِن ملامحه، ولُكْنته الَّتي استخدمها في عبارات الترحيب المبالغ فيها أنَّه باكستانيّ، فحمدت الله أن قائد تلك الرحلة القصيرة يحمل في جعبته الحد الأدنى من مفردات اللغة العربية الَّتي قد تساعدنا في أنْ تصل هذه الرحلة إلى بر الأمان، ومن خبرتي مع طلابي في إندونيسيا، فأفضل طريقة للتعامل في هذه الحالة

هي العربية الفصحى الّتي لا التباس فيها.

> السلام عليكم يا صديقي.
>> وآليكم السلام بروزر، همدوللـه ألا السلامة أرباب، كيفك أرباب؟
> الحمد لله بخير.
>> انت ما في سَمَان كتير؟
> ماذا تقصد يا أخي بكلمة سمان أذلك الطائر؟
>> لا صديق، سمان يأني شنطة، ما في شنطة؟
> لا يا صديقي، سأتابع رحلتي بعد قليل وأُفضِّل أن تبقى معي تلك الساعات حتّى أعود للمطار.

بدا عليه التململ وكأنّه لم يفهم كلمة ممّا قلت له، فقررت أنْ تكون كلماتي أوضح وأقصر، ذلك قبل أن يسألني:
>> وين نروح أرباب؟
> أريد أن أذهب إلى الشاطيء (hcaeB ehT) حتّى أشاهد الاحتفالات والألعاب النارية.

فأخذ يفكر لبُرهة، ولم أكن أعلم أيحاول يحسب

المسافات في ذهنه؟ أم أنه يحاول فقط فهم ما قلته، فقلت بصوت أعلى وكلمات أوضح:

> الشاطئ؛ حتّى أشاهد الألعاب النارية.

>> تمااااام أرباب، إنت في مبسوط إن شاء الله، أنا سوبر درايفر، في وصل ميه ميه.

فهمتُ من كلماته تلك أنّه فهم الوجهة المرجوة، وقبل أنْ يتحرك أفرط في الترحاب بي بعبارات تجمع لغات متعددة كأنّها تحمل نكهات وتوابل الهند وباكستان معًا، ثم أخرج لي من درج السيارة إلى جانبه زجاجة مياه صغيرة وعلبة عصير، شكرته كثيرًا وشربت الماء والعصير، وكان الشغف يملؤني لمشاهدة شوارع دبي عن قرب، خاصة شارع الشيخ زايد الّذي يضاهي في جماله وناطحات السحاب به أبهى شوارع الولايات المتحدة الأمريكية.

انطلق السائق وخفتت الأضواء رويدًا رويدًا من حولنا، وتحوّل المنظر في الخارج إلى صحراء فأدركت أن مطار دبي ككافة المطارات يقع على أطراف المدينة، وأنّ السائق بالتأكيد يختار أكثر الطرق سهولة للابتعاد عن

الزحام، وما هي إلا دقائق حتّى داعب عيني نوم حاولت أن أقاومه، لكنّ سلطانه كان لا يقهر ففرد أجنحته على عقلي ورحت في غفوة وصلت حدّ النوم العميق.

بعد وقت لَمْ أدركه فتحت عينيّ فوجدت أنّنا مازلنا نقطع الصحراء ونظرت في الساعة وجدتها قد عبرت نصف ساعة بعد الثانية عشر من منتصف الليل، تبًّا؛ أين أنا؟ لقد فوّت احتفالات رأس السنة! رحلتي التالية! يا إلهي، المياه! العصير! لابد أنّي مختطف! هذا السائق اختطفني! يال غبائي، وحظي العسر، هنا صِحت في السائق.

>أين نحن؟ هل تخطفني أيُّها اللص؟ ماذا تريد؟ أعدني إلى المطار حالًا حتّى ألحق رحتي التالية، سأكلم الشرطة.

>> أرباب! إنت ليه في زعلان؟ إحنا خلاص في وصول! هذا بورد ييجي الحين يقول في وصول.

ففهمت أنّه يقصد تلك اليافطة الّتي سنمرُّ من تحتها بعد قليل فنظرت لها بترقُّب لأرى ما هو المكتوب

عليها لأجده:

مرحبًا بكم في حتا*.

* بين الجبال على حدود سلطنة عمان وعلى بعد ١١٠ كيلومترات من دبى تنام مدينة صغيرة جميلة من مدن إمارة دبي اسمها «حتا».

الباشا ابن سيادته
ترندات وتوباكو

البَاشَا ابن سِيَادتُه

> الاسم بالكامل لو سمحت.

>> حازم إبراهيم سليمان.

> المهنة...

وقبل أن أنطق حرفًا واحدًا أتى من خلفي صوت عالٍ يفوح بالعجرفة والتعالي يخاطب موظف الجوازات الَّذي يعمل على إنجاز معاملتي: انت يا ابني، فضِّيلي نفسك وخلصني بسرعة انا مستعجل.

هنا تلعثم الموظف وسقطت منه الكلمات سهوًا أو عمدًا لا أدرى، ومن هول الصدمة وتحت تأثير الثقة البالغة من صاحب الصوت من خلفي الَّذي اتضح أنَّه طوى صفوف البشر غير عابئ بانتظارهم ولا النظام ولا أي شيء؛ رأيت الموظف يقفز من مقعده ويلوِّح بأوراقي في الهواء لكي أستردها دون أن ينظر نحوي ويرد بتلعثم:

> أوامرك يا باشا، أخدم معاليك إزاي.

فتقدَّم هذا الشخص بصحبة سيدة سافرة، وبخطوات ملؤها العنجهيَّة والكِبر نحو مكتب الموظف وأزاحني بكتفه من أمامه، دون أن يستأذن أو يعتذر وخاطب الموظف:

>> خد يا ابني خلص ورق مدام هاله بسرعة عشان احنا مستعجلين.

كانت أوراقي قد سقطت من يد الموظف في الأرض بعدما فشلتُ في التقاطها من يده وسط ارتباكه الشديد، وللأسف لَمْ تسقط الأوراق فقط، بل شعُرْتُ أنَّ كرامتي قد سقطت هي الأخرى للتوِّ أرضًا معها، ثم قام هذا المتعجرف بدهسها بقدميه أمام عينيّ بلا حول منّي ولا قوة، ثار بركان من الغضب في عقلي وخرجت قذائفه من فمي لتحرق هذا المتكبر بعدما أخفقْتُ في كبحها.

> أنت إزاي يا أستاذ تسمح لنفسك تستهين بالناس والنظام كده، فيه دور حضرتك، من فضلك دا دوري لمَّا دورك يجي ممكن الموظف يخلَّص معاملتك.

>> أستهين؟ انت مين ياد انت؟ إزاي تتجرأ وتتكلم

معايا أصلًا؟ إنت عارف يا ابني انت بتكلم مين؟ اتلم يا حبيبي وخليك في نفسك وفي دورك بعد ما اقضي مصلحتي، واخرس خالص لحد ما أخلص لأني ممكن بدل ما استهين بيك أهينك قدام الناس دي كلها.

هنا كنت استشيط غضبًا وغيظًا ويبدو أنَّ الموظف والناس من حولي قد لاحظوا هذا فأمسك الموظف بيدي وقال للرجل:

> يا معالي الباشا اللي مايعرفك يجهلك، إهانة ايه واستكانة ايه، الأستاذ بس مايعرفش إنت مين، العتب عالنظر.

وتطوع شخص آخر إلى جانبي باحتوائي تحت ذراعه وهو يهمس في أذني.

> اقصِر الشّر يا أستاذ، وسيبه يقضي مصلحته ويغور، الله أعلم دا يبقى مين ولا ابن مين، ما تدخلش نفسك في متاهة، وبدل مانت جاي تعمل باسبور عشان تسافر بره، يسفرك ورا الشمس، استهدى بالله وسيبك منه.

كان حطام كرامتي يؤلمني بشدة، ألمًا أغشى مسامعي

وبصري، فلم أكن أسمع سوى أنفاس هذا الشيطان، ولم أكن أرى سوى صورته القميئة، فصِحْتُ فيه بلا تردد:

> هو كل عيِّل يجي يرسم نفسه ويقول انت مش عارف انا ابن مين وياكل حق الناس بالباطل؟ لا يا ننوس لو طلعت ابن مين، وحياة الست الوالدة ما هتدخل غير في دورك ولو على جثتي.

فما كان منه إلَّا أنْ انتفض كمجنون لدغته كبرى ذات جرس وأمسك بتلابيبي وهو يصيح بصوت بلغت قوته ١٠ درجات لو أمكن قياسه على مقياس ريختر للزلازل:

> انت اتجننت يالا؟ أنا الضابط هاني علي مظهر ابن المستشار علي مظهر، أنا هعرفك مين أمي اللي انت جبت سيرتها دلوقتي، ومش هسيبك غير لما احبسك يالا.

هنا بدأت آلاف السيناريوهات السوداء تجول في أفق عقلي المظلم بغيمات سوداء كُبلى بالكوارث، ضابط ابن مستشار، انتهت كل أحلامي واستحالت لأوهام،

لا جواز ولا سفر، بل إنَّه السِّجن لا محالة، أتى من جديد صوت الرجل الَّذي إلى جواري يرن في أذني يؤكد ما يدور في ذهني المضطرب.

> مش قولتلك يا ابني؟ عملت في نفسك كده ليه؟ أديك وديت نفسك فى داهية، لا حول ولا قوة إلَّا بالله.

في هذه اللحظة وقبل أنْ أرد بكلمة واحدة انفتح باب جانبي خرج منه ضابط قسم الجوازات بذلك النِّسر الَّذي يقبع على كتفه، والَّذي خرج من توه على الضجة الَّتي افتعلناها أمام مكتبه وهو يصيح:

> في إيه يا أخونا؟ بالراحة، إيه اللي بيحصل هنا؟ مين معلِّي صوته؟

تقدَّم المتعجرف في لؤم وخُبث نحو الضابط بسرعة ودنَى من أذنه وهو يقول بوُدٍّ مفاجئ ومفتعل:

> معالي الباشا، ممكن لو سمحت كلمة على جنب؟

>> كلمة إيه يا أستاذ وعلى جنب إيه؟ إنت مين؟ وبتعلِّى صوتك في المصلحة بتاعتي ليه؟

> معاليك مافيش حاجة سوء تفاهم بسيط، هشرحه

لمعاليك على جنب بعد إذنك.

>> جنب إيه اللي انت عايزه؟ بطاقتك لو سمحت.

> معاليك أنا هاني ابن المستشار علي مظهر.

>> بطاقتك يا أستاذ هاني لو سمحت

هنا صاح الموظف:

> الباشا بيقول إنه ضابط يا باشا.

فأجاب الضابط مدير المكتب:

> زميل بقا؟ طيب كارنيهك أو بطاقتك يا معالي الباشا.

>> معاليك مالوش لازمة الكلام في وسط الناس بعد إذنك كلمة على جنب.

> لا جنب ولا ورب بطاقتك يا أستاذ هنا بدل ما أخدها منك في القسم.

فأخرج المتعجرف بطاقته بتحرُّجٍ كبير، وكان يتصبب عرقًا وأسلمها للضابط لينظر فيها وترتسم على شفتيه ابتسامة عريضة ويصيح في الحضور:

> إنت ازاي يا ابني انتا وهو تضايقوا معالي الباشا؟ هو مش قالكوا انه ضابط؟ بس ما قلكوش هو ضابط

فين ولا إيه؟ الباشا ضابط في فرقة، بس مش فرقة صاعقة، الباشا ضابط إيقاع.

هنا ذُهل الحضور، منهم من فَغَر فاهه من دون أن ينبِس ببِنْتِ كلمة، ومنهم من انتابته نوبة ضحك هستيرية قبل أنْ يتابع الضابط بحزم:

> هاني باشا، زميل بقا وكده، إحنا طبعًا ضباط زي بعض؟ إيه بقا سبب الدوشة دي؟ جاي تعمل إيه هنا؟

>> جايين نعمل باسبور مدام هالة.

> مدام هاله؟ ممتاز؟ وتقرب لحضرتك إيه مدام هاله؟ أختك وبنت سيادة المستشار بردو؟

>> لا يا باشا مدام هالة، فنانة استعراضية في الفرقة.

> الرقَّاصة؟ لا برافو، أهلًا مدام هاله، ما قولتليش صحيح، الوالد مستشار في أي محكمة؟

فأجاب هاني بصوت لا يكاد يتخطى حنجرته، ووجه تجتاحه موجة تسونامي صفراء أعقبت آلاف الموجات من العرق:

> والدي مستشار مالي لشركة في الكويت.

زوج زوزو
ترندات
وتوباكو

زُوْجُ زُوزُو

زينب؛ تلك الفتاة الجريئة الَّتي تحدَّت الظروف والعادات والتقاليد والأعراف، قررت أن تخرج من تحت عباءة أمها، أو بالأحرى بدلتها، زوزو كما كانت تسميها أمها الراقصة الشهيرة بشارع محمد علي «دنعيمة ألماظيَّة»، على الرغم من جمالها الفتَّان وطلَّتها البهية وعودها الملفوف الَّذي تنحني لشموخه شوارب أعتى الرجال، قررت التخلي عن هذا العرش الَّذي ورثته عن أمها الأسطى نعيمة، وسلكت وحدها وضد الَّتيار دربًا مختلفًا مِن دروب الحياة.

كنتُ هناك في المقاعد الخلفية بقاعة المحاضرات بكلية الآداب أتابع عن كَثَب الاهتمام البالغ من زملائي بتلك الفتاة الشقيَّة الجميلة، شاهدتُ الولع واللهفة في عيونهم بها، شاهدتُ الحقد والحسد في عيون بعضهم أيضًا، كان الانقسام ما بين خاطب وُدٍ وكاره مستبد هو التوصيف الأمثل لحالة قاعة المحاضرات الَّتي كان يسيطر حضورها الأخاذ عليها بالكامل.

كنت هناك في حفل عيد الميلاد الَّذي دعانا إليه زميلنا سعيد كامل؛ ذلك الطالب الثريّ الوسيم، الَّذي ينظم أهله حفلات صاخبة ماجِنة، لمجرد الاحتفال بذكرى ميلاد أحدهم، ذكريات يتخلَّى عنها باقي الشعب عمدًا أو سهوًا، كنت هناك عندما أحضر أهله الراقصات لإحياء هذا الحفل وعلى رأسهم السيدة الطاعنة في السن نعيمة ألماظية، لنكتشف وسط الحفل أنَّها أمُّ زينب أو زوزو، وبكل إباء وكبرياء تقوم زوزو بإراحة أمها حفظًا لكرامتها الَّتي دهستها ضحكات الحضور المبتذلة، وراحت هي تؤدي دور الراقصة وتنكشف أصولها أمام حبيبها وزملائها، وتسقط عنها عباءة الكفاح والعلم والثقافة لتنكشف من تحتها بدلة الرقص.

نَشِهدْتُ حالة الاستقطاب الَّتي تلت ذلك في المدرَّج، فكان الحاقدون يقودون المشهد شماتةً بها وكرهًا لها ورفضًا لوجودها في «حرم» الجامعة، وكأنَّه حَرَمٌ محرَّمٌ على الراقصات بنات الراقصات مِن أمثالها، ولا أخفيك سرًّا انجرفتُ في هذا الَّتيار لغرضٍ في نفسي، وعلى القطب الآخر رأيت مَن يتعاطف معها ويؤيدها

ربّما لغرضٍ ما في نفسه هو الآخر.

كانت موجة استقطاب حادّة كادت تعصف بتلك الفتاة المكافحة الّتي كان ذنبها الوحيد أنّها وُلدت لأمٍّ تعمل راقصة في شارع محمد علي، وعلى الرغم مِن تمردها على هذا الواقع ورفضها له إلّا أنّه ظل يلاحقها ويعرقل خطواتها الدؤوبة في محاولة الابتعاد عنه.

مرّت الموجة كما يمرُّ كل شيء في الحياة، وانشغل كل فرد بحاله، وبالطبع تركها سعيد كامل بفرمان مِن والدته، وراحت الفتاة الجميلة تلاطم موجات الحياة الكاسرة، هنا أتت فرصتي الذهبية لانقضّ عليها واغتنمها، فكنت أحد الشباب المغتربين بالجامعة، حيث ولدتُ وترعرعتُ في إحدى قرى دلتا النيل، وما مِن أحد هناك في قريتي قد سمع من قبل بنعيمة ألماظية أو ابنتها.

تزوجتها، ولا أنسى إلى الآن أهل القرية وهم يصطفون على جانبي الطريق بينما أدخل القرية أنا وعروسي الجميلة، لا أنسى نظراتهم لها ما بين الإعجاب

والدهشة والحقد، ذات الانقسام الّذي كان يحدث في الكلية، وبالطبع لَمْ يكنْ أحدٌ من أهل القرية يعرف شيئًا عن أصولها، تزوجتها لأني كنت أُومِنُ بأنّه لم يكن لها من الأمر شيء في اختيار أمها أو مهنتها، تزوجتها لأنّها كانت تحارب ضد الّتيار، تزوجتها لتقديرها وحبها لأمها رغم رفضها لمهنتها، ولا أخفيكم سرًّا تزوجتها لأنّها جميلة، بديعة، شقية، تكاد تنقلب أجمل فتايات قريتي إلى جوارها غفيرًا نظاميًّا.

تخلت زوزو عن ماضيها بالكامل وعاشت معي في القرية، وأصبحت مدرّسة في المدْرَسة الثانوية، ولَمْ يربطها بهذا الماضي إلّا بِضع دقائق مِن الرقص في غرفة النوم أو حتّى في بعض الأفراح والمناسبات مع الأهل، وكنت أتقبل هذا على استحياء كما هي عادات المناسبات في مجتمعنا.

كانت ومازالت أهم إنجازات حياتي، بل حلمي الّذي تحقق، وحب حياتي الأكبر.

أصبحت زوزو شمس حياتي ودفأها والّتي كلما غابت

حلَّ الظلام والبرد، وها أنا ذا أعدُّ الساعات في انتظار عودتها مِن تلك الرحلة المدرسية الَّتي ذهبت بها كمشرفة، أحكي لكم تلك القصة لأنِّي أومن دائمًا أنَّ الحياة لا بد أنْ تعطي دومًا فرصًا ثانية.

نعم، الفرصة الثانية؛ مقولة أشعلت فى قلبى فَتيل تلك الذكريات، قرأتها وأنا أتصفح إحدى منصات التواصل الاجتماعيّ على هاتفي لأقتل الوقت إلى أنْ تعود زوزو، ولكنْ فجأة لفتني منشور متكرر يتحدث عن فضيحة، يا الله كم أحب مشاهدة تلك الفضائح والمقاطع الساخنة، قرأت العنوان: وصلة رقص لمُدرِّسة بين طلابها في رحلة نيلية.
أخذني الفضول، وأنا أُمنِّي النفس بمشهد يروِّح عن نفسي ويسعدني، فتحت المقطع لأجدها زوزو.

ارتبكتُ، انفعلتُ، انفجرتْ شرايين الغضب في مخي، إنَّه العار، إنَّها الفضيحة، لعنك الله أيَّتُها القبيحة، صحيح أنَّ العِرق دسَّاس، ألَا تخافين الله في سُمعة زوجك، أغلقتُ المنصة وأنا استشيط غضبًا، ثم أمسكتُ بالهاتف واتصلتُ بزوزو، وأتاني بعد قليل صوتها يغمره

البـكاء والنحيـب مـن الطـرف الآخـر.

> ألو..

>> زوزو؛ إنتِ طالق يا فاجرة.

كوبري
السحالي
تريندات
وتوباكو

كُوبْرِي السَّكَالِي

رنَّ هاتف المنزل الداخليّ الَّذي يُسمَّى «إنتركم» ومجازًا يسميه المصريون «كتافون» على الرغم مِن بُعد المعنى والوظيفة، كانت «سمر» تتوقع هذا الاتصال في هذا الوقت، فهو الوقت المحدد لعودة نور مِن المدرسة، وكان الحاجب على باب البناية يبلغها أنَّ ابنتها قد ركبت المصعد في الطريق للمنزل.

لَمْ تنتظر سمر وهرعت إلى الباب تفتحه لملاقاة قرة عينها نور، لتضمها وتحتويها لعلها ترفع عن كاهلها بعض عناء وأرق يومها الدراسيّ، وبالفعل استقبلتها بود وحب غامرين، يليقان بملكة أمها المتوَّجة كما تحب سمر أن تنادي ابنتها.

وبعد مراسم الاستقبال المَلَكيَّة المعتادة، مِن استحمام وتمشيط وتبديل ملابس وطعام وشراب، أتت فقرة النكد اليوميّ، وكيف لا تكون نكدًا وكربًا وهمًّا ونور في عامها الدراسيّ الأصعب والأخطر، بل إنَّ هذه

السنة الدراسية ذاع صيتها في برِّ مصر بأكمله ليغطي على صيت الثانوية العامة، ليتربَّع الصف الرابع الابتدائيّ على عرش الأصعب في مصر؛ بحسب منصات التواصل الاجتماعيّ بالطبع.

وبدأت سمر كعادتها فى استكشاف الواجبات والفروض والنشاطات المنزلية الَّتي يتوجب عليها إنجازها مع نور، وكانت الأمور طبيعية - إلى حدٍّ ما - إلى أنْ فتحت ورقة النشاط المنزلي الخاص بمادة العلوم وبدأت في قراءتها، وهنا بدأت ملامح الدهشة، ثم عدم التصديق ثم الإنكار ثم الفزع ترتسم على وجه سمر، وكانت نور تراقب هذه التطورات المفاجئة والصادمة على مُحيَّا أمها، فسألتها:

> مالك يا ماما؟! في إيه؟!

>> نور يا حبيبتي؛ مين إداكي ورقة النشاط دي؟

> الأستاذ سعيد يا ماما.

>> متأكدة يا بنتي؟! ما يكونش اداكي الورقة بالغلط؟

> لا يا ماما إدانا كلنا نفس الورقة، هي فيها إيه يا ماما؟

>> فيها مرار طافح يا حبيبتي.

> يعني إيه مرار طافح يا ماما؟

>> يعني نشاط العلوم يا حبيبتي.

> هنعمل فيه إيه يا ماما المرار الطافح دا؟

>> عايزينك تعملي كوبري مشاه للسَّحَالي في الصحرا يا حبيبتي.

> يعني إيه كوبري مشاه يا ماما؟

>> هار اسوح! إنتِ أصلًا مش عارفه يعني إيه كوبري مشاه! أومال هتفهمي إزاي إنه للسَّحَالي وفي الصحرا؟

> يعني إيه سحالي يا ماما؟

>> يعني مرار طافح يا حبيبتي.

هنا ظهر الخطأ ٤٠٤ الشهير على وجه نور، دلالة على عدم الفهم واستحالة الاستجابة، فهدأت سمر وأخذت تُكلِّم نفسها:

>> إهدي يا سمووره، يا حلوه يا أمووره، تقدري يا قمر تقدري، خدي نفس من بؤك وطلعيه من مناخيرك وريلاكس كده، إنتي بطلة يا سموووورة، بطلة، يا رب، المدد من عندك يا رب.

وبعد الكثير من الشهيق والزفير الَّذي ارتفع صوته حدَّ النحيب والشخير، والمزيد من الأدعية والآيات

والحوقلات خاطبت نور بهدوء والَّتي كانت لا تزال على حالتها:

>> بُصِّي يا ملكة أمك المتوجة، في حيوان من الزواحف في الصحرا اسمه سحليَّة، شبه البُرص كده يا حبيبتي، عارفه البُرص؟

> أيوه يا ماما، اللي بابا بيجيبه من عالحيط بالشبشب.

>> بالظبط يا روحي، السَّكَالي دي بقا بتعيش في الصحرا، والصحرا دي يا قلبي كبيرة جدًا فيها جبال وهضاب وصخور، إحنا بقا عايزين نساعد السَّكَالي دي ونعملَّها كوبري مشاه عشان تعرف تعدِّي من على الصخور دي.

> يعني إحنا المفروض نساعد السَّكَالي دي يا ماما مش نضربها بالشبشب؟

>> أيوه يا روحي.

> يا خبر ابيض يا ماما! كده بابا هيخش النار عشان بيضرب الحاجات اللي المفروض نساعدها.

>> إن شاء الله يا حبيبتي، ما تقاطعيش بس، المهم إحنا عايزين بقا يا نور يا أمورة يا قمر إنت، نعمل للسَّكَالي دي كوبري تعدِّي مِن على الصخور.

> يـا مامـا دا البـرص دا بيمشـي علـى الحيطـة وفـي السـقف، مـش هيعـرف يمشـي علـى الصخـور؟
>> لا ما هو كده كتير.. كتيييير.

انطلقـت سـمر وهـي تنفـخ وتتضجَّـر مِـن أسـئلة ابنتهـا المحرِّجـة الَّتـى لا تجـد المنطـق المناسـب لإجابتهـا، وأمسـكت هاتفهـا تحـدث زوجهـا:

>> ألو.

>> يا حسن، هات لنا معاك سحالي وانت جاي.

>> أيوه سحالي.

>> أطبخ سحالي إزاي يا جدع؟ سحالي بلاستيك يا عم بلاستيك، وهات كمان قطع خشب صغيرة.

>> أنا عارفه بقا، اتصرف، هاتها من أي محل لعب.

>> نشاط العلوم عند الست نور يا سيدي، ربنا يعدِّي رابعة ابتدائي دي على خير قبل ما تعدِّي علينا زي القطر.

>> سلام.

عـادت سـمر لابنتهـا نـور تحـاول مِـن جديـد محـاولات لا جـدوى منهـا ولا طائـل فـي إفهامهـا طبيعـة النشـاط والهـدف منـه دون أنْ تقتنـع أيًّا منهمـا بالنشـاط فـي حـد

ذاتـه أو الغـرض منـه.

وبعـد سـاعتين مـن المجـادلات الَّتي تشـبه مفاوضـات بيـن وفديـن أحدهمـا مِـن الصيـن والآخـر مِـن نيكاراجـوا مِـن دون وجـود مترجـم، رن هاتـف سـمر مِـن جديـد فأجابـت:

>> أيوه يا حسن، لاقيتها؟

>> يعني إيه شاحَّه في السوق؟ دي سحالي بلاستيك؟

>> هـو إيـه اللـي سـحليَّة ب ٤٠٠ جنيـه؟ طيـب هاتهـا وخـلاص هنعمـل إيـه يعنـي؟

>> طيب انت بتتعصب عليا ليه أنا ذنبي إيه؟

>> إنتَ بتهددني بالطلاق يا حسن؟

هنـا سـقط الهاتـف مـن يدهـا فجـأة، قبـل أن تـدور الدنيـا مِـن حولهـا ثـم تسـودُّ فتسـقط سـمر أرضًـا.

فتنتفـض فجـأة مِـن أثـر السـقطة وتفتـح عينيهـا لتـدرك أنَّـه كان كابوسًـا مزعجًـا سـبَّبه لهـا منشـورات وترنـدات منصـات التواصـل الَّتي تتابعهـا عـن كَثَـب، تلـك الترندات الَّتـي ملؤهـا الزيـف والكـذب لغـرض واحـد هـو الانتشـار.

حمدتْ سمر الله على حالها، فهي مازالت بكرًا ولَمْ تتزوج إلى الآن وقالت وهي تتضرع إلى السماء:

>> الحمد لله يا رب على نعمة العنوسة، ديمها علينا يا رب.

ثم صاحت:

>> مش عايزة اتجوز، مش عايزة اتجووووز.

ولاد
أبو جاموس
ترندات
وتوباكو

وِلَاد أبُو جَاموس

«كفر ولاد أبو جاموس» تلك القرية الصغيرة الَّتي تقع على أطراف محافظة الخيال ولا يفصلها عن محافظة الواقع سوى شريط حدوديّ رفيع، وعلى الرغم مِن ذلك فدائمًا يختلط فيها الخيال بالواقع والحابل بالنابل، ولكنْ أبدًا لَمْ ولن يختلط أو يلتحم أبناء علوان أبو جاموس بأبناء صفوان أبو جاموس.

علوان وصفوان أبناء العم الَّذين استوطن جدهم الأكبر تلك البقعة وسميت باسمه مِن أزمان بعيدة، وعلى الرغم مِن اتصال الدم والرَّحِم إلَّا أنَّ السُّلطة والمصلحة والنفوذ كان لهم رأي آخر، ففرَّقت الأطماع ما وحدَّه الدم، وقطع الجشع ما وصله الرَّحِم.

وتوارث الأبناء جيلًا بعد جيل تلك الفُرقة وهذه العصبية، حتَّى صارت العائلة الواحدة عائلتين متناحرتين متنافستين في كافة المناحي، وأصبح هاتف العمودية الشهير الصيد الثمين الَّذي يسعى وراءه كل طرف من

أطراف العائلة ويجيّش مِن أجله الجيوش ويتخذ من التدابير ما صلح منها وما فسد لنيل تلك الغنيمة الكبرى مهما كانت العواقب.

وفي ليلة عاصفة، كانت الأخبار المتلاحقة فيها تلاعب وتحرّك الناس المزروعين في الشوارع كما الأشجار في انتظار الخبر اليقين، لمَن سيؤول الهاتف المجيد؟ وأتى الخبر المشؤوم على عائلة صفوان، حيث كان ينتظر كبير العائلة في هذا الوقت الحاج صلاح صفوان أبو جاموس أنْ ينام قرير العين ويظل التليفون في بيته الّذي سيظل دوار العمدة، إلّا أنّه وفي نفس الليلة أتى أتباع الحاج علي علوان أبو جاموس وأخذوا التليفون في مشهد احتفاليّ مملوء بالرقص والطبل والزّمر والصّخب الشديد، بعدما آلت إليهم العمودية في تلك الليلة، كانت هذه هي ذات المراسم الأسطورية الّتي تصاحب انتقال «التلافون» كما يدعونه من بيت العمدة القديم لبيت العمدة الجديد، وحتّى إنْ أصبحت الهواتف محمولة وأغرقت موجات الإنترنت العالم أجمع، سيظل التلافون ولو كان قطعة أثرية هو رمز العمودية.

فسقط الحاج صلاح على إثر خسارة العمودية حزنًا وكمدًا في غيبوبة طويلة، ها هو قد أتمَّ سنته الثالثة بها منذ أيام.

وبينما كانت صفيَّة حفيدته تمرِّضه وتسهر على العناية كُلَّما تسنَّى لها هذا -لا سيَّما أنَّها الطبيبة الوحيدة بالعائلة وسفيرة آل صفوان في مجالات الصحة والطب- وجدته يستفيق من غيبوبته ويفتح عينيه ببطء، استبشرت صفية الخير وملأها الأمل والفرح واستمرت في رعايته حتَّى جلس واستعاد بعضًا مِن عافيته ودار بينهما هذا الحوار:

> شكرًا يا بنتي، هو أنا نايم بقالي كتير؟

>> الشكر لله يا حاج، حمد الله على سلامتك ألف سلامه، معلش فترة وعدت.

> الحمد لله على كل شيء يا بنتي، كل اللي يجيبه ربنا خير، الحمد لله المؤمن ديمًا مصاب، انتي مين يا بنتي؟

>> أنا صفية بنت صالح.

> ما شاء الله كبرتي وبقيتي عروسة يا صفية، واضح

إني غبت كتير فعلًا، إلَّا صحيح يا صفية هو التلافون في دار مين دلوقتي؟

>> لسه في دار علوان يا حاج.

> لا حول ولا قوة إلَّا بالله، نصر ربنا قريب يا بنتي، ربنا عمره ما يرضى بالظلم والفساد والطغيان، إن شاء الله ربنا هينصرنا ويرد لنا حقنا آجلًا أو عاجلًا، ولسه في بيت علي أبو علوان؟

>> لا يا حاج، علي أبو علوان تعيش انت، جاله مرض جديد اسمه كورونا ومات.

> الله أكبر، لا إله إلا الله، مش قولتلك يا بنتي ربنا هينصرنا، اهو خد جزاءه في الدنيا وفي الآخرة، اللهم كما أحللت عليه غضبك وعذابك في الدنيا، أدِم عذابه في الآخرة، اللهم انت كريم يا رب.

>> لا حول ولا قوة إلَّا بالله، استغفر ربنا يا حاج، دا هو بردو في دار الحق واحنا في دار الباطل، المفروض يعني لا شماتة في الموت، وبردو الراجل كان له ما له وعليه ما عليه.

> لا يا بنتي مِن حقنا نشمت ونفرح طبعًا بموت الفاسدين، المهم عمك سامي عامل إيه؟

>> مات هو كمان يا حاج الله يرحمه بنفس المرض.

> يـا حبيبـي، لا حـول ولا قـوة إلَّا باللـه، مـات مبطـون، طلـب الشـهادة ونالهـا، وهـذا جـزاء الصالحيـن يـا بنتـي.

>> مبطـون إيـه بـس يـا حـاج دي الكورونـا بتيجـي فـي الصـدر.

> يـا حبيبتـي إن شـاء اللـه شـهيد، ومين يـا بنتـي العمـدة دلوقتى؟

>> سعيد أبو علوان يا حاج.

> الاكتـع، لا حـول ولا قـوة إلَّا باللـه، صحيـح كل ذي عاهـة جبَّـار، إزاي يـا بنتـي يمسِّـكوا واحـد اكتـع العموديـة؟ هما السُـلام خلصـوا؟

>> حكمة ربنا يا حاج.

> لا يا بنتي دا تدبير ومكر البشـر ونتاج أعمالهم وبلاويهم، هـو أنـا مش قادر احـرك ايديـا ورجليا ليه؟

>> إنـت كنـت فـي غيبوبـة كاملـة مِـن ثلاث سـنين يـا حاج وكان فيـه جلطـة في المخ للأسـف سـبَّبت شـلل.

> الحمـد للـه، اللهـم لـك ألـف حمـد وشـكر يـا رب، ديمًـا فاكرنـي يـا رب، يـا بنتـي المؤمـن ديمًـا مُبْتَلـى وخيـر دواء للبـلاء الصبـر، الحمـد للـه علـى نعمـك وفضلـك يـا رب، أومـال فيـن الحاجـة صبحيـة مراتـي يـا بنتـي؟

>> معلـش يـا حـاج، البقـاء للـه ماتـت واللـه حزنًـا عليـك

بعد سنة من الغيبوبة.

> يالا الله يسهلها مطرح ما راحت، أراحت واستراحت، آي والله.

>>جرا إيه يا حاج ما تتقي الله، دا انت لسه على فراش المرض، مش خايف من ربنا يسخطك زي ما كنت تاني باللي عمَّال تقوله من ساعة ما صحيت دا؟

> إنتي يا بت انتي بنت صالح صح؟ عمره ما كان صالح والله، وعِرق علوان النجس داسس فيه وفيكي، غوري مِن قدامي يا بت جاكي خابط.

>> بقا انت بتقولي اني غوري وجاكي خابط؟ إمَّا إنَّك راجل ناقص صحيح، دا أني بخدم فيك بقالي ثلاث سنين وفي الآخر بتطردني، صحيح يا ولاة، آخرة خدمة الغُز عَلْقة.

> أنتي بتقولي عليا ناقص يا بنت صالح، اخصفوص عليكي عديمة الربايا زي أبوكي، غوري من قدامي يا به، بدل ما اجز رقبتك بالشرشره.

>> أبويا دا انضف واحد فيكوا يا عيلة هُزُء، طيب بص بقا يا حاج صلاح، وحاج ليه، بص يا صلاح، انا هغور ومش هرجع، وإلهي انت كمان تغور ما ترجع، عيلة تعِر صحيح مِن أصغركم لصفوان الكبير، جكتوا الغم.

> انتي بتغلطي في سيدك صفوان يا بجحة؟ إلَّا سيدك صفواااان، إلَّا سيدك صفوااااان.

وأثناء انفعاله الشديد حاول النهوض مِن مرقده إلَّا أنَّ جسده لَمْ يكن في طوعه، ومِن هول الانفعال والعصبية عاودته الجلطة ثانيةً، وذهب من جديد في ثُبات عميق، فقامت صفيه بهدوء وحمدت الله أنَّها لَمْ تخبر أحدًا باستفاقته الخاطفة، وظلَّت تنظر إليه وهو طريح الفراش مِن جديد وتقول:

>> روح يا شيخ، انت اللي زيك غيبوبته رحمة للبشرية كلها -الله وكيل-، حسبي الله ونعم الوكيل فيك وفي أمثالك.

ريان
وسعد
ترندات وتوباكو
لوحة للفنان أسامة حجاج

رَيان وسَعْد

جلستْ راضِيه وبين ضلوعها ابنها الوحيد سعد، كانا يبحثان عن دفء عَزَّ الحصول عليه في تلك الظروف وهذه الأجواء وسط العشرات مِن أمهات ثَكَالَى، وأطفال ينهش الجوع أمعاءهم وينخر البرد في عظامهم، وآباء ضاق عليهم الحال وانقطع بهم السبيل ولَمْ يعُد لهم مِن ملجأ سوى الملجأ.

كانت بدايات الليلة الثالثة مِن ليالي فبراير قارسة البرودة في تلك البقعة المنسيَّة عمدًا مِن العالم، حيث كانت حبَّات الثلوج تتساقط مِن السماء وكأنَّها حجارة مِن سجِّيل، تحملها ريح السَّمُوم، ريح تقتلع القائم مِن شجر وحجر وبشر إلَّا ما رحم ربي، ولا ترحم حتَّى مَن استتر خشية مواجهتها مِن وحشة صوت قصفها المرعب، فقد كانت السماء وكأنَّها ترجُم بثلوجها هؤلاء البشر الَّذين قد نالت منهم الحرب ونال منهم المرض والجوع والفقر والشَّتات ما نال.

كانت راضية وسعد يستتران مِن برد تلك الليلة ولو لدقائق معدودة وسط جموع مِن جيرانهما اجتمعوا بالخيمة الوحيدة الَّتي تحظى بوسيلة تدفئة بدائية، وشاشة تلفاز عتيقة تلتقط بعضًا مِن البثِّ الأرضيّ، يحاولون مِن خلالها لدقائق الاتصال بالعالم الَّذي نسيهم، ذلك في إحدى المخيَّمات بمنطقة عفرين في شمال سوريا مخيم مِن ألف مخيم في تلك المنطقة الَّتي كانت تعجُّ بما يقارب المليون ونصف المليون مِن المهجَّرين السوريين الَّذين شتتتهم وطحنتهم رَحى الحرب الضروس.

وقد نسيهم العالم في هذا المخيم واستحال تواصله معهم بعدما قطع تراكم الثلوج الطرق، وطوَّق البرد الحركة وقبَّضها، فصاروا في عزلة كاملة بلا ساتر مِن البرد إلَّا أقمشة مخيماتهم المُلهلهة، وبلا طعام وبلا وقود وبلا حياة، يتطلَّعون جميعًا لقبلة الحياة الَّتي تأتيهم مِن تلك المؤسسة المسماة بمجموعة المأوى العالمية التابعة للأمم المتحدة بين فترة وأخرى.

وسط هموم راضية المتراكمة تلك والّتي اعتلاها كَرب زوج ذهب لإدراك نصيبه مِن الرزق فلا نعلم أنْ كان قد ضلّ طريق الرزق أمْ طريق العودة، جلستْ راضية تنظر لسعد الّذي كان يتلوّى مِن الجوع والبرد، وما كانت لها مِن حيلة سوى أنْ ترسم له خيالات تشبعه وتنسج له أحلامًا كاذبة تدفئه، وسط تلك الهموم نزل على مسامعها خبر ما زاد قلبها سوى حسرةً وهمًّا، وكأنّ الكآبة تجيد اصطياد ضحاياها.

فهذا التلفاز اليتيم الّذي تنتظر عشرات العائلات منه تسليةً قد تنسيهم ما هُم به مِن كرب، تنفّس عن كرب جديد، طفل مغربيّ يُدعى ريان في الخامسة مِن عمره -تمامًا كابنها سعد- ألقت به الأقدار إلى قاع جُبٍّ سحيق، وإلى الآن لَمْ يُتاح مِن المقومات على كثرة الجهود ما ينقذه مِن موت محقق، نظرت راضية إلى ابنها وضمته لها بشدة، وشعرت في تلك اللحظة بأمِّ ريان، وما يعترك صدرها مِن لهيب القلق والتوتر خشية الفقد، ذلك اللهيب الّذي يكوي بصيص الأمل الضعيف الّذي كلّما أضاء سرعان ما خفت مِن جديد.

ذهبتْ إلى خيمتها ولَمْ تذهب تلك الصور الَّتي أذيعت لريان المسكين مِن ذهنها، بل ظلت صورته وصورة أمه عالقة في ذهن راضية بلا منفذ، بل إنَّها كلَّما نظرت لابنها سعد رأت فيه ذلك الطفل ريان، وراحت تتعقب رغم الهموم والثلوج والصقيع أخبار ريان لعلها تسمع ما يثلج صدرها، وكذلك كان حال جميع جيرانها، فعلى الرغم ممَّا يعانونه مِن وَحدة وعزلة وانقطاع مِن المؤن والموارد، فقد كانت قلوبهم عامرة بالإنسانية، بل إنَّ معاناتهم ضاعفت إحساسهم بمعاناة الآخرين.

ووسط صخب الترقُّب والقلق، كان الأمل يحوم في الأفق، فقد أكدت الأخبار أكثر مِن مرَّة أنَّ ريان مازال حيًّا، وستُثمر الجهود المتواصلة عن إنقاذه بالتأكيد، وكانت راضية تحدث نفسها أنَّ تلك المعضلة ما دامت قد وقعت تحت ضوء الإعلام البرَّاق فلابد لها مِن كَلْكَلَة، حتمًا ستتحرك المعدات، بل المؤسسات والوزارات، بل الدول لإنقاذ ريان، ما دامت قضيته قد رأت نور الإعلام فلابد لها مِن نهاية سعيدة.

وبعد مرور أكثر مِن مائة ساعة على ريان حبيسًا في

جُبِّه بلا مأكل ولا مشرب، تمامًا كمئات العائلات مِن ضحايا التهجير، تسارعت الأخبار في الليلة السادسة مِن فبراير أنَّ ريان على وشك الخروج وأنَّه حيّ، ولكنْ بعد دقائق تحطمت الآمال وفطرت القلوب، فقد مات ريان، وراح العالم أجمع يبكي ميتته المأساوية.

هنا تدافعت مئات التساؤلات لذهن راضية، كيف مات؟ وبأي ذنب؟ لماذا لم يسرعوا في إنقاذه؟ وكيف أكدوا أنَّه كان حيًّا؟ أين العالم بموارده وحداثته وتكنولوجياته وإنسانيته المفتعلة مِن إنقاذ هذا المسكين بشكل أسرع؟ يال المسكين، يال أمه الثَّكْلَى، هل ينفعهم الآن صخب الإعلام؟

عادتْ وسعد لخيمتهما الضيقة، ونام سعد في ركنه وذهبت راضية تبحث عن بضع قطع مِن الحطب الجاف لدى الجيران تشعل بها نارًا تمنحهم بعضًا مِن الدفء في تلك الليلة الباردة، كانت الثلوج تتساقط بكثافة وكانت الرياح شديدة، ووسط صرير الرياح تعالت في الأجواء أصوات تحطم شديدة، انخلع على إثره قلب راضية الَّتي كانت تتحرك بصعوبة وسط

الرياح الهادرة والثلوج المتراكمة، ولمَّا وصلت خيمتها علمت سبب ذلك الجرح الَّذي أصاب قلبها، كانت خيمتها قد تهاوت على سعد داخلها، صرخت واجتمع على صراخها جيرانها وراحوا ينبشون حطام وأنقاض الخيمة بحثًا عن سعد.

وبعد لحظات مِن البحث وجدوا سعدًا، فضمته راضية بشدة، ولَمْ يكن نفس الإحساس الَّذي تعودته، فقد كان باردًا كالثلج الَّذي يغطيه، وكان وجهه أزرق والدم يكسو صدره، فصاحت راضية بصوت ملؤه الألم والحزن، مات ريان وستذكره الإنسانية لأيام ثم تنساه، ومات سعد ولن يذكره أو يعرفه أحد، فتبًّا للإنسانية المزيفة.

فتاوي
القهاوي
ترندات
وتوباكو

فَتَاوِي القَهَاوِي

بعد أنْ ضجَّت مواقع التواصل الاجتماعيّ بمقاطعه الطريفة وأسلوبه القريب إلى القلب، وبعد أنْ ركب الترند وتربَّع عليه، أصبح الشيخ «الصياغ» نجم الشباك في نافذته التليفزيونية الَّتي يطالع منها جمهوره مرَّة كل أسبوع، بل إن برنامج «فتاوي القهاوي» الَّذي هو ضيفه الدائم والَّذي اتخذ هذا الاسم لِمَا يتمتع به الشيخ الصايغ مِن خفة ظل وأسلوب سَلِس، أصبح البرنامج الأول في هذه القناة، بل وأصبح برنامج الفتاوي الأول في مصر.

وفي حلقة جديدة مِن البرنامج جلست أمامه المذيعة المحجَّبة الَّتي تتوارى خلف آلاف الطبقات مِن مساحيق التجميل والَّتي تكاد تكون قد طَمست وغَيَّبت ملامح خلق الله مِن تحتها بالكليَّة، جلستْ تتواصل مع غرفة التحكم الَّتي تفرز المكالمات والحالات، قبل أنْ تقدمها المذيعة على الهواء للشيخ الصايغ للفصل فيها.

ومِـن بعـد التحيـة والسـلام أتـى صـوت نسـائيّ يحمـل الكثيـر مِـن الأسـى واليـأس لتحكـي مـا أصابهـا، ومِـن بعـده تسـتمع لنصيحـة الشـيخ الصايـغ وفتـواه، فقالـت السـيدة:

يـا سـيدنا الشـيخ الصايـغ، أنـا اسـمي زينـب، وجـوزي كافـر يـا سـيدنا الشـيخ وعايـزه اتخلـع منـه.

فأجابها الشيخ الصايغ بصبر كبير:

يـا زينـااابُ، حـرام عليكـي يـا زينـااابُ، ماينفعـش نرمـي النـاس بالكفـر، حـرام يـا زينـااابُ.

فأجابته زينب بصبر نافذ:

طيب اسـمعني الأول يا عم الشـيخ، دا بيقول عن نفسـه ببجاحـه وجمـودية عين اسـتغفر الله العظيم:

أنا أكره الحق.

وأحب الفتنة.

وعندي ما ليس عند الله.

وأفعل ما لا يفعله الله.

وأصلي بغير وضوء.

فصاحت المذيعة: أستغفر الله، سبحانه وتعالى، داكفر بيِّن، أستغفر الله.

فبادرها الشيخ الصايغ: إهدي يا أبلة.. إهدي، هو صح وانتوا الاتنين غلط ووقع عليكما إثم بيِّن، يستوجب التوبة والاعتذار.

فقالت المذيعة: إزاي يا فضيلة الشيخ؟ داكلام والعياذ بالله غاية في الكفر.

فقال لها: صبرًا يا أختي، فقد قال الرجل:
أنه يكره الحق، أوليس الموت حق؟
وأنه يحب الفتنة، ومن مِنَّا لا يحب أولاده وأمواله وقد قال عز وجل «إنَّما أموالكم وأولادكم فتنة»؟
وإنْ عنده ما ليس عند الله، فعنده أولاد والله عز وجل واحد أحد ليس له صاحبة ولا ولد.
وأنَّه يفعل ما لا يفعله الله، فهو ينام وسبحانه قيُّوم لا ينام.
وأنَّه يصلِّي بغير وضوء، فهل الصلاة على النبي تحتاج لوضوء؟

رفقًا بالناس يا أختي، وإنَّما يجب على المؤمن حُسن النية والظن والفهم والنظر مِن منظور مختلف قبل إصدار الأحكام الجزافية.

هنا تحرَّجت المذيعة كثيرًا مِن الموقف الَّذي وضعت نفسها فيه، فقد كانت دومًا وجاهتها أهمُّ مِن الإجابات والفتاوى، فقطعت الاتصال وبادرت بأخذ اتصال آخر دون التعقيب على إجابة الشيخ الصايغ، وقد كان على الطرف الآخر صوت وقُور يقول:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أنا والعياذ بالله مِن كلمة أنا العبد الفقير إلى الله أمين عبد الله، تاجر مواد غذائية، وقد مَنَّ عليّ الله مِن فضله ووسَّع لِي في رزقي، والحمد لله أنا دائم الحمد والشكر والصَدقة والصوم والصلاة والزكاة كما أنِّي أعتمر لبيت الله الحرام كل عام مرتين وحججت بيت الله ثلاث مرات؛ وذلك كلُّه شكرٌ لله على أنعمه وأنا على يقين أنِّي غير قادر بالتأكيد على إيفاء الخالق سبحانه حقه مِن الحمد على نعمه العظيمة.

فقاطعته المذيعة: الله يفتح على حضرتك ويكثر مِن

أمثالك.

فأكمل الرجل: شكرًا لكِ يا أختاه، ولأنِّي لا أريد أنْ أُطيل عليكم، أردت أنْ أعرض على فضيلة الشيخ المعضلة الَّتي أواجهها وأطلب فيها فتواه، في الآونة الأخيرة علمت مِن مصادري أنَّ هناك بعض السلع ستُراجع الحكومة أسعارها وترفعها، فاستخرت الله وجمعت كل ما طالته يدي منها وخزنته في مخازني في انتظار تحريك الأسعار وتحقيق المكسب الكبير إنْ شاء الله والَّذي سيعينني بالتأكيد على المزيد مِن الصَّدقة والزكاة وأعمال الخير، ولخوفي على البضاعة الَّتي بالمخازن مِن السرقة أتيت بمجموعة مِن الكلاب لحراستها، وسؤالي هنا يا فضيلة الشيخ، هل ملامسة هذه الكلاب أثناء دخولي وخروجي مِن المخزن تسبب نجاسة وتستوجب الغُسل للطهارة؟

فأجاب الشيخ الصايغ بابتسامة عريضة: بالتأكيد يا أخي الفاضل، فإنَّه يجب على الكلاب الاغتسال بعد ملامسة أمثالك، على الرغم أنِّي أشكُّ أنَّ اغتسالهم هذا قد يمنحهم الطهارة.

راسبوتين
الكاهن الفاجر
ترندات وتوباكو

رانْد ـ بُوتين ـ
الكاهنُ الفاجرُ

لَمْ يكن يتخيل يومًا ذلك الفلاح الملعون، القادم مِن إحدى القرى النائية بسيبيريا، أنْ يصل لهذه المكانة ويصبح الآمر الناهي بقصر القيصر، في روسيا القيصرية.

فبعدما كان الحظ يعاند طموحات ذلك الطفل الفلاح «غرغوري يفيموفيتش» خلال طفولته المليئة بالإحباطات والنكسات ممَّا جعل الناس يعتقدون في نحسه، بل يؤمنون أنَّه ابن ملعون، فبعد وفاة أمِّه أثناء طفولته وبعدما شهد منزله يحترق أمام عينيه، ثُم إخوته الستة يتساقطون واحدًا تلو الآخر في القبور، وكان آخرهم أقربهم سنًّا منه حينما مات بين يديه أثناء نزهة إلى جوار النهر، فجرفتهما المياه، فمات أخوه وراح غرغوري في غيبوبة عاد بعدها أقوى.

نعم، أقوى بكل ما تحويه الكلمة مِن معنى، فقد زعم أنَّه بفضل هذه الغيبوبة أصبح يمتلك قوًى خارقة، مِن التنبؤ بالمستقبل وشفاء المرضى بمجرد لمسهم، وانتشرت تلك المزاعم انتشار النار في الهشيم، حتَّى ذاع سيط الشاب في قريته، ولكنَّ هذا لّمْ يكبح جماح شغفه بالنساء والخمر، وعلى الرغم مِن محاولة أبيه إلحاقه بالكنيسة في بادئ الأمر إلَّا أنَّ شهواته غلبته، فأطلق عليه الناس «دراسبوتين» ومعناها الفاجر أو الفاسق بالروسية، وذلك لمجاهرته بالرذيلة.

تزوج الشاب في مستقبل حياته وأنجب ثلاثة أطفال مِن زوجته وطفلًا رابعًا مِن امرأة أخرى، ولكنَّ هذا لَمْ يكن كافيًا لكبح جماح مغامراته وتطلعاته، فتعلَّم فنون التنويم المغناطيسيّ وقرَّر الهرب مِن قريته والذهاب إلى العاصمة الروسية القيصرية، مخلفًا مِن ورائه أبناءه وزوجته والعديد مِن التكهنات والاتهامات الَّتي طالت سمعته ومنها أنَّه هرب لضلوعه في عمليات سرقة.

وبعد رحلة طويلة شهدت الكثير مِن الغموض

والعديد مِن المعجزات، ظلّت معجزته الكبرى الّتي فتحت له أبواب قصر القيصر ومِن بعدها أبواب الشهرة والسُّلطة والمال، كانت معالجته لابن القيصر المصاب بمرض سيلان الدم باستخدام خبرته في فنون التنويم المغناطيسيّ، وهذا ممَّا جعله الكاهن الأقرب لزوجة القيصر، بل المتحكم الفعليّ في مفاصل الإمبراطورية الروسية الكبرى، فبإشارة منه تُقال الحكومات وتُحلُّ المجالس وتُدَّقُ طبول الحرب وتُخمد نيران حروب أخرى.

وبالطبع هذا لَمْ يعجب الكثير مِن أقارب القيصر الطامعين في الحكم والمتطلعين إلى خلافته، فخلقت سلطته المطلقة تلك الكثير مِن الكارهين والأعداء الذين حاولوا جاهدين القضاء على غرغوري راسبوتين الكاهن الفاسق، ولكن كل محاولاتهم باءت بالفشل أمام سطوة وقوة ابن الشيطان كما كان يحلو لهم أن يدعونه.

ها هو الآن أمام نزوة جديدة مِن نزوات مجونه، فأخيرًا استجابت الجميلة الرقيقة إيرينا، لنداءاته وتلميحاته

وتقرُّبه المتصل، ودعته لحفلة عشاء خاص في مخدعها، فأبدًا لَمْ تُخْمِد الكنيسة، ولا السُّلطة، ولا الشهرة ولا المال شهوته الجنسية المتقدة.

ولكنَّه فوجئ بزوجها الأمير فيليكس يوسوبوف، ابن عم القيصر نيقولا الثاني، في استقباله وقد أعد له وليمةً مِن الحلوى والخمور، فما كان مِن راسبوتين أمام حفاوة استقبال الأمير إلَّا أنْ انخرط في الأجواء ونال ما نالت يداه مِن الخمور والحلوى، وتركه الأمير فيليكس بحجة دعوة الأميرة إيرينا لتنضم إليهما، ولَمْ يكن يعلم راسبوتين أنَّ هذه الحلوى وتلك الخمور قد دُس بها سُمُّ السيانيد القاتل.

خرج الأمير فيليكس المَوْتُور مِن راسبوتين وعلى غرار الكثير مِن أقرباء القيصر وكان قد أعدَّ له هذا الفخ مسبقًا للتخلص منه بالتعاون مع عدة شركاء، بعدما لاحظ توده لزوجته، خرج الأمير فيليكس وهو يمنِّي النفس أن يرجع فيجد راسبوتين جثةً هامدةً بفعل السُّم، ولكنَّ هذا لَمْ يحدث، فهو لَمْ يكن يعلم أنَّ راسبوتين قد اعتاد على تناول كميات صغيرة مِن

هـذا السُّـم لتكويـن مناعـة سـاعدته الآن علـى مقاومـة كميـة السُّـم المدسوسـة مِـن قِبَـل الأميـر.

فلمَّـا عـاد الأميـر وشـركاؤه فـي المؤامـرة للغرفـة ووجدوا راسـبوتين مـا زال علـى قيـد الحيـاة سـارعوا بإطـلاق النـار علـى صـدره وقلبـه، ولكـنَّ الأخيـر لَـمْ يقـع أرضًـا ممَّـا شـككهم فـي أنَّـه قـد يكـون قابـلًا للقتـل مِـن الأسـاس، فهجمـوا عليـه وحملـوه وألقـوه فـي نهـر جليـديّ.

وبعدهـا بأيـام أعلنـت الشـرطة الروسـية نهاية أسـطورة غرغوري راسـبوتين الكاهن الفاسـق بمقتله نتيجة امتلاء رئتيـه بمـاء النهـر الجليـديّ وليـس بسـبب الرصـاص أو السُّم.

بيض بسطرمة

ترندات وتوباكو

بَيْض بَنْسِطِرْمَة

الثامنةُ مساءً؛ فدوى علوان

على الرغم مِن المجهود المضني الّذي استمر طيلة الليلة السابقة وحتّى ظهر اليوم، والّذي أدى إلى كسل شديد أرخى ستائر مِن نوم عميق على جفون «فدوى علوان» في مخدعها الوثير، إلّا أنّ التزاماتها قد منعتها مِن بضعة دقائق إضافية مِن الراحة.

وقبل أنْ تعتدل فدوى في سريرها، ضغطت الزر المجاور للسرير، وما إنْ رفعت إصبعها مِن فوقه حتّى انفتح الباب عن حفنة مِن البشر وكأنّهم في انتظار تلك الضغطة منذ ساعات.

وفي ديناميكية لافتة، تقدمت الجموع سيدة تحمل إناءً فخاريّ به ماء يتصاعد منه البخار وإلى جواره منشفة مبللة، وسريعًا اتجهت نحو فدوى في مخدعها، تمسح عن وجهها آثار النوم، ومِن ثَمّ تبعتها

أخرى بأواني متعددة بها الإفطار الإنجليزيّ المحبب لفدوى والّذي لا يخلو بالطبع مِن بيضتين مخفوقتين بالخضروات مع الخبز المحمص واللحم المُقدد والطماطم المشوية والنقانق ومُربّى التّين وعصير البرتقال والقهوة الأمريكية.

وأثناء تناول فدوى للإفطار، كانت أخرى تقوم بتحضير الحمّام مِن أجل حمّام ساخن تستفيق به، وأخرى تحضر لها الملابس المناسبة والّتي حددتها فدوى بعناية في بداية الأسبوع، وفي مؤخرة الصف كانت تنتظر سيدة أخرى بأفخر أنواع مساحيق التجميل لإكمال التأنق التام لفدوى بحسب أحدث الصيحات العالمية، وما هي إلّا ساعة وكان الجنود قد أتموا المهمة على أكمل وجه.

الثامنةُ مساءً؛ نشوى مهران

رنّ الهاتف، فنظرت نشوى إلى الشاشة لتجدها كما توقعت السيدة سارة، وكانت نشوى قد وعدتها أنْ تذهب لها اليوم مساءً لتقوم ببعض أعمال منزلها إلّا أنّها استغرقت وقتًا أطول مِن المتوقع في البيوت الأربعة الّتي عبرتها اليوم، كان يومًا مضنيًا بالتأكيد،

فمنذ الثامنة صباحًا بعد أنْ أودعت طفليها عند أمها قبل الذهاب وراء رزقها، فلم يعد لها مِن ملجأ سوى ذراعيها بعد أن خلعت زوجها اعتراضًا على قلة حيلته وسوء معاملته المزعومة.

بالتأكيد لَمْ يكن يعاملها بالشكل اللائق، فقد انفتحت عيناها على همجيته وإهماله وذكوريته الدميمة بعدما بدأت في متابعة برنامج السيدة «دفدوى علوان»، وساعتها قررت، إنْ لم يقدر على جعلها ملكة متوجة في بيتها، فالخلع أولى به، وقد كان.

كانت مكالمة صاخبة مِن السيدة سارة، تخللتها حدة صوت وهجوم كاسح على شخص وحياة نشوى، وما كان منها إلَّا أنْ تعتذر وتتحجج حفاظًا على أكل عيشها، خاصة أنَّ السيدة سارة دائمًا ما تجزل لها العطاء.

انقضت المكالمة بأقل الخسائر الممكنة وكان لابد أنْ تتجه مباشرة للبيت بعد أن توالت اتصالات أمها بعد أن ضاق بها الحال مِن بكاء وصراخ أطفال نشوى مِن الجوع وافتقاد الأم الَّتي خرجت لتوفير الطعام.

فركبت نشوى أول وسيلة مواصلات جماعية متاحة أمامها لتقلّها إلى منزلها بتلك المنطقة المنسية على أطراف القاهرة والّتي يطلق عليها الكثيرون عشوائية، ولكنها بالتأكيد لّمْ تكن أكثر عشوائية مِن حياة نشوى ككل.

التاسعةُ مساءً؛ فدوى علوان

خرجت فدوى مِن الفيلّا الّتي تقع في أفخم المناطق السكنية على أطراف القاهرة في الميعاد المحدد لتجد السائق في انتظارها ليفتح لها باب السيارة البورشة الرياضية الّتي أهداها إيّاها زوجها في عيد زواجهما السابق، واتجهت نحو أحد استوديوهات القناة الأجنبية الّتي تعمل بها بعد وساطة قوية من زوجها النافذ، لتنطلق بعد ساعة على الهواء في واحدة مِن حلقات برنامجها الشهير الذي يحظى بأعلى نسب مشاهدة في مصر.

وقبل ميعاد الهواء بدقائق كانت فدوى تجلس مع المعدِّين والمنظمين للبرنامج لوضع اللمسات

الأخيرة للحلقة، وفي العاشرة تمامًا صاح المخرج: هوا.

التاسعةُ مساءً؛ نشوى مهران

وقبل أنْ تصطحب أطفالها مِن بيت أمها، مرَّت على أحد المتاجر المجاورة لشراء بضع بيضات والقليل مِن النقانق والخبز وحاجيات تُعدُّ بها عشاءً تسدُّ به رمق أطفالها الجوْعَى وتقتات به هي أيضًا بعد يوم مضنٍ مِن العمل.

حضَّرت نشوى نصف ما جنته مِن العمل لتدفعه للبائع، ولكنها فوجئت به يطلب منها مبلغًا أكبر مِن المعتاد، فاستنكرت جشعه ولكنها دفعت له صاغرةً بعد أن تحجج بالحرب وارتفاع الأسعار.

أخذت أولادها وذهبت للبيت وأجلستهم في الصالة، وأدارت مؤشر التلفاز قبل العاشرة تمامًا للتابع برنامج السيدة فدوى أثناء تجهيزها العشاء، ولكنْ لفتتها مقدمة البرنامج حينما كانت فدوى تقول:

العاشرةُ مساءً:

مساء الحرية على كل ست حرة وقوية، مساء القوة لكل ست قالت لأ للمجتمع الذكوري، مساء الجمال على أجمل وأطهر مَن في مجتمعنا، مساء الفخر لكل ست رفضت وصاية الرجل، وأثبتت أنَّ الست مش بس نصف المجتمع، لا دي هي محرك ووقود المجتمع.

مساء الخير على حبايبي مشاهداتي العزيزات.

بس للأسف الخير مش باين في الأفق، فالمجتمع الذكوري مازال يضرب استقرار الكرة الأرضية في الصميم، ومش هيسكت إلَّا لمَّا يودي الكرة الأرضية في داهية بسببهم، أكيد كلكم سمعتم عن الحرب اللي بدأت مِن أيام، وبدأت تؤثر على الاقتصاد العالمي وترفع مِن أسعار البترول والسلع والمواد الغذائية والأساسية، واللي أكيد هتأثر علينا كلنا.

عزيزتي ست البيت وملكته، إحنا مسؤوليتنا كبيرة جدًا في تحمُّل تبعات تلك الحرب الذكورية المتخلفة، إحنا وزراء ماليات البيوت، لازم نستعد لأن اللي جاي

مش هيكون سهل أبدًا، اللي كنتي بتجبيه امبارح ب ١٠٠ جنيه هيبقى بكره ب ٢٠٠ جنيه، لازم ناخد بالنا ونقف جنب بلدنا، اللي بتفطّر جوزها فول وبيض وفلافل، تخليها في الجبنة، واللي بتحط رغيفين عيش تحط رغيف واحد، بلاش البيض والأكل الأورجانيك أرجوكي، لازم نستعد للأيام اللي جاية، التقشف والحرص اللي هنعمله النهاردة هينفعنا بكرة، اللي قايمة دلوقتي تعمل بيض بسطرمة عشان جوزها يتعشى بيه، توفرهم لفطار ولا غدا بكره وتخلي جوزها ينام خفيف.

منتصفُ اللَّيل؛ فدوى علوان

اختتمت فدوى الحلقة بعد استضافة العديد مِن الضيوف الداعمين لوجهة نظرها، واستطاعت بالفعل في عمل حلقة تاريخية تستحوذ على ترندات الميديا لأيام وأيام.

أنهكتها الحوارات والمناقشات والتصنع أمام الكاميرا، وما إنْ فرغت حتَّى اتجهت مسرعة إلى سيارتها وكان السائق ينتظرها هذه المرَّة بسيارة السهرة المازيراتي السوداء ليصطحبها لأحد الفنادق الفخمة على ضفاف

النيل.

لتنضم لأصدقائها هناك ولتحظى بالغداء والعشاء الفاخر وتسهر برفقة أصدقائها كما هي العادة حتَّى الساعات الأولى مِن مساء اليوم التالي في رحلة استمتاعها بالحياة.

منتصفُ اللَّيل؛ نشوى مهران

أشعلت كلمات فدوى نار الحزن واليأس والإحباط في قلب نشوى وأخذت عبراتها تنهمر رغمًا عنها وهي تحجب نصف ما اشترت مِن حاجيات لإفطار الصباح، وتكتفي بنصف وجبة عشاء لها ولأطفالها امتثالًا للنصيحة الغالية مِن فدوى، فبالتأكيد فدوى تعرف أكثر.

وطردت سريعًا بعض الأفكار المُسمَّمة الَّتي جالت بخاطرها عن طليقها، وظِل الرجل والأسرة والدعم الَّذي كان قد يقدمه لها في تلك الظروف.

فكفكفت دموعها ودموع أطفالها الجَوْعَى وأكملت

الأسـرة عشـاءها نومًـا، اسـتعدادًا ليـوم جديـد مِـن الصـراع مِـن أجـل الحيـاة.

أبو الهول - 1
المسيخ الدجال - 0
ترندات وتوباكو

أَبُو الهَوْل - ١

المَسِيخُ الدَّجَال - ٠

أَبُو الهَوْل

كانت المَبْخَرَة الَّتي تتوسط تلك الغرفة المظلمة معدومة المنافذ تُصدر جرجرةً عاليةً وكأنَّ نارها قد أتت من قاع الجحيم، بعدما نثر عليها صاحبها بعضًا من خلطته السحرية الَّتي لا تخلو من البخور الرديء والملح وتلك الحبَّات المميَّزة في شكلها وفعلها الَّتي تسمى «دعين العفريت».

ومن وراء المَبْخَرَة كان يجلس في الغرفة وحيدًا كعادته «أبو الهول»، وتلك كانت كنيته الَّتي طَمست اسمه بالكلية، فقد كان بالفعل يستحق هذه الكنية، وذلك لدوام وجومه وتجهُّمه وندرة كلامه، حتَّى إنَّ الناس من حوله كانت تشك في أنَّه ينام مفتوح العينين.

المَسِيخُ الدَّجَال

ومِن وسط سُحُب دخان البخور المتراكمة في فضاء الغرفة، والَّتي كانت تشبه شبورة الصيف الثقيلة، ظهر من العدم شخص غريب الهيئة، بل غريبٌ لَمْ يكن التوصيف الصحيح، ففي تلك الحالة أقل ما تُوصف به هيئة هذا الرجل أنَّها مرعبة، ولكنْ على فظاعة هذا الدخيل وتسلُّله المريب، لَمْ تبد على أبي الهول أي أماراتٍ للدهشة أو الفزع وكأنَّه كان ينتظر حضور خليله.

نعم، إنَّه خليله، فبعد الكثير من البحث في كتب السِّحر وطرقه، والَّتي كان أبو الهول أستاذًا بها لدرجة أنَّ صيته قد وصل إلى أقصى الأقطار وصارت تُشدُّ الرحال إليه، لبراعته في كل ما هو سحر وشر، وبالتبحر المستمر من هذا الرجل وصل لسر استحضار رفيق الشر هذا، إنَّه المسيخ الدجال.

التَّحَدِّي

وسريعًا ما لاحظ أبو الهول ذلك الهمَّ الذي يكسو مُحيَّا رفيقه البشع بالأساس، فسارع بسؤاله عن حاله ودار بينهما هذا الحوار:

- مالك يا صحبي احكيلي؟
= سيبني في حالي يا زميلي.
- أنا شايفك تعبان مخنوق.
= قال يعني انت اللي صافيلي؟
- لا دا انت جاي تهزر! مالك يا عم؟
= يا عم أنا الهم راكبني وكأنه ملك ملوك الجن، خلاص الدنيا بتشطب والمفروض إن ميعاد ظهوري قرب وأنا مرعوب بصراحة، الناس دي ممكن تصدقني إزاي؟ بشكلي ده وسحنتي دي؟ الناس اللي بقالهم ٥١٠٠ سنة بيتكلموا عني ومستنيني، وكمان نسبة التعليم اللي زادت، وكل واحد حتَّى اللي ما شفش تعليم ماشي وفي إيده موبايل يجيبله الأخبار قبل ما تحصل، والسوشيال ميديا كمان، ماخليتش، بتكشف الكدبه قبل ما تتقال.
- طيب واللي يثبتلك إنهم هيصدقوك؟ وبدون أي مجهود.
= عشم أخونا إبليس في الجنة، كان زمان وجبر.
- طيب دا تحدي يا معلم، ولو كسبته يبقى ليا في وشك علامة زيادة.

التَّزْييفُ العَبيط

وقبلَ أن ينتظر أَبو الهول إجابةً من صديقه قفز سريعًا إلى ذهنه ذلك المقطع المُصوَّر الذي طالعه في هاتفه قبل قليل وقد أثار تعجبه ودهشته، ذلك عندما شاهد حفل زفاف يبكي فيه العروسان أثناء كتب الكتاب وأثناء رقصهما، حتّى المدعوون، كانوا جميعًا يبكون، كانت طرافة المقطع وغرابته محل اهتمام أبي الهول وحيرته، وكان الأكثر غرابة هو تعليق المتابعين على المقطع، حيث كانت تُجزم الأغلبية بصدق المقطع، ممَّا حفَّزه للبحث في الحقيقة من ورائه، وبقليل من البحث وجد مئات التطبيقات والطرق القادرة على تزييف المقاطع المصورة؛ منها العميق وأكثرها «دعبيط» كما كان يدعوه، واستمر في البحث حتَّى وجد ذلك التطبيق الذي يستطيع أن يغير ملامح الوجه، فحمله وانطلق من فوره نحو الهرم، ليصنع المعجزة بيده.

صنع مقطعًا مزيفًا عن طريق أحد التطبيقات، يبدو فيه أبو الهول الحقيقيّ مُغمَض العينين، ونشره على منصات التواصل الاجتماعيّ، وسرعان ما انتشر كما

النار في الهشيم، وكما توقع لم يتحدث أغلب الناس عن مدى مصداقية المقطع، بل انشغلوا بالخبر الكاذب مصدقينه.

الهَرَم

وفي اليوم التالي اصطحب صديقه إلى قمة الهرم بقدراتهما السحرية، ليجد المسيخ الدجال آلافًا مؤلفةً من الناس تصطف في منطقة الهرم، كانوا قد شدوا الرحال لمشاهدة أبي الهول النائم، هذا بعدما حكى له عن ذلك المقطع المزيف الذي صنعه بالأمس وهنا تساءل المسيخ الدجال:

= دي الكاميرا الخفية صح؟ انت جايبني تشتغلني؟ معقول الناس دي كلها صدقت إن أبو الهول اللي عمره فوق ال ٥٢٠٠ سنة، وهو على حاله لا اتأثر بمدافع نابليون ولا بحراميه ولا حتّى بهكسوس، الناس صدقوا إن التمثال دا فجأة قرر ينام.

- أيوه يا صحبي، مش قولتلك، ولو دخلتك على الفيس عندي هتلاقي مصر كلها، وكل الوكالات وقنوات الأخبار بتتكلم في الحوار دا.

= روح يا شيخ إلهي يعمر بيتك، ويطمنك زي ما طمنتني .

- يا عمنا انا ليا عندك علامة زي ما اتفقنا، كده أبو الهول ا - ٠ المسيخ الدجال.

#تمت..

عن الكاتب
سامح مبروك

كاتب وروائي مصري، من مواليد 1981، حاصل على بكالوريوس العلوم، صدرت له رواية "زرادوستاز - نبي أهل النار" عن دار الحلم للنشر والتوزيع حيث دشنت طبعتها الأولى في معرض الشارقة الدولي للكتاب أكتوبر 2020، وتلتها طبعتها الثانية في معرض القاهرة الدولي للكتاب يونيو 2021، ورواية كاتاتونيا -أعراض انسحاب- عن نفس الدار أكتوبر 2021.

صدر للكاتب

جميع الحقوق محفوظة © 2022